القبس

في كشف دسائس أحسن القصص

الطبعة الأولى
1446 هـ
2025 م

اسم الكتاب: القبس في كشف دسائس أحسن القصص
التأليف: أسماء الريس
موضوع الكتاب: إسلامي
عدد الصفحات: 224 صفحة
عدد الملازم: 14 ملزمة
مقاس الكتاب: 14*20
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2024/2663
الترقيم الدولي: 978-977-6697-843

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

hakayaproduction@gmail.com
01551751909 _ 01096476744

قصص القرآن

العدد الأول

القبس

في كشف دسائس أحسن القصص

تأليف

أسماء الريس

حماوي

للإنتاج الفني

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبيانًا لكل شيء، وجعل القرآن الكريم هدى ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للعقيدة والتشريع في الإسلام، وقد تميز بأسلوبه الإلهي الفريد في تناول الأحداث والقصص التاريخية التي جاءت للعبرة والعظة، وبينما يأتي القرآن بالحق المبين، نجد أن هناك مصادر أخرى غير موثوقة حاولت أن تتسرب إلى فهمنا لتلك القصص، وتعرف هذه المصادر بالإسرائيليات؛ والإسرائيليات هي الروايات المنقولة من كتب أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، والتي اختلط فيها الحق بالباطل، وأصبحت جزءًا من التراث الإسلامي في بعض التفاسير والروايات.

يتناول هذا الكتاب موضوع الإسرائيليات في قصص القرآن، فيستعرض منشأ هذه الروايات، وكيفية دخولها إلى التراث الإسلامي، ويقوم بتحليلها بعناية، مستندًا إلى القواعد العلمية الصارمة التي وضعها العلماء المسلمون، كما يتطرق إلى تنقية القصص القرآني مما علق بها من روايات

غير صحيحة، حفاظًا على نقاء العقيدة وفهم النصوص الشرعية بشكل صحيح.

يهدف هذا الكتاب إلى تقديم دراسة متكاملة تساعد القارئ المسلم على تمييز الحق من الباطل في ما يتعلق بالإسرائيليات في قصص القرآن، وتوجيهه نحو الاعتماد على المصادر الصحيحة في فهم كتاب الله تعالى.

وقد كان منهجي في كتابة هذه المقالات هي سرد صحيح القصص خالية من أي إسرائيليات ثم أشرت في نهاية كل قصة بما دس فيها من قصص مكذوبة.

بأسلوب سهل ولغة دارجة تساعد الأجيال الصاعدة لاستيعاب القصص والاستفادة منها على أكمل وجه.

والله الموفق والمستعان

أسماء الريس

١

الحكاية من البداية

نبذة تاريخية

ظهور الإسرائيليات في قصص القرآن الكريم يُعدّ موضوعًا ذا أهمية كبيرة، حيث يعود هذا الظهور إلى التفاعل الذي حدث بين المسلمين وأهل الكتاب (اليهود والنصارى) خلال الفترات الأولى من التاريخ الإسلامي.

ولتحليل بداية ظهور الإسرائيليات في التراث الإسلامي، لا بدّ من فهم السياقات التاريخية والدينية التي سمحت بدخول هذه الروايات إلى النصوص التفسيرية والقصصية.

سنعود إلى العام ٧٠ ميلادية تقريبا حينما شنّ القائد الروماني تيتوس [١]

هجومًا على القدس، وخرّب الهيكل، وعاث فسادًا وتقتيلًا وتهجيرًا في اليهود المقيمين فيها، مما اضطر كثيرين منهم إلى مغادرة القدس باحثين عن مأوى لهم في رحلة تيهٍ جديدة.

(١) انظر كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج٦ ص٣٢

وقد استقرّ جزء من هؤلاء اليهود في شبه الجزيرة العربية، استقبلهم العرب بكرم أخلاقهم وسماحتهم، ورحّبوا بهم، فانخرط اليهود بينهم، خاصةً وأنهم لاحظوا حبّ العرب للقصص والأدب الذي كانوا يجلبونه معهم من رحلات التجارة، وبدأوا يقصّون عليهم قصص التوراة، وما وقع مع سيدنا موسى عليه السلام، واستزادوا من قصص التلمود التي حَوَت كثيرًا من التفاصيل المحرّفة.

وبعد حوالي خمسمائة عام من بداية ظهورهم في شبه الجزيرة العربية، ظهر الإسلام فيها، وكان اليهود جزءًا لا يتجزأ من ثقافتها، وتواجدهم فيها كان كبيرًا، إضافةً إلى رحلات التجارة الشتوية إلى اليمن والصيفية إلى الشام التي أتاحت لقاءات بين العرب الوثنيين وأهل الكتاب، فتبادلت الثقافات بينهم.

إلا أن طبيعة العرب القبلية وانتشار مظاهر الجاهلية حالت دون انتشار أي دين آخر بينهم، على خلاف ما حدث مثلاً في اليمن التي تهوّدت بالكامل بعد انتقال اثنين فقط من أحبار اليهود إلى أراضيها، وكذلك تهوّد قوم من بني الحارث بن كعب، وقوم من غسان، وقوم من جذام. أما من تنصّر، فقد كانوا من قبائل مختلفة، مثل قوم من قريش كعثمان بن الحويرث بن أسد بن العزى، وورقة بن نوفل بن أسد.

وعندما جاء الإسلام وبدأت الدعوة الإسلامية تنتشر على نطاق واسع، استقرّ في المدينة التي كانت تُعرف بيثرب قبل الإسلام وكانت معقلًا ليهود الجزيرة. وهكذا وجد المسلمون أنفسهم في مواجهة مباشرة مع بني قينقاع، وبني قريظة، وبني النضير، ويهود خيبر وتيماء وفدك.

وبدأ الاختلاط بين رسول الله ﷺ وأصحابه وبين اليهود في الأسواق وغيرها، وكان النبي ﷺ يلتقي بهم بصفة خاصة لدعوتهم إلى الإسلام. بل إنهم كانوا أحيانًا يحكّمونه فيما ينشأ بينهم من خصومات، كما أخبرنا الله في كتابه الكريم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥]

وكانوا يسألونه كثيرًا عن قصص دينهم للتحقق من صحة القرآن، وأحيانًا بقصد تعجيز النبي ﷺ؛ ومع الوقت دخل بعض علماء وأحبار اليهود في الإسلام، فمنهم من دخل عن صدق، ومنهم من كانت له نيَّة أخرى تهدف إلى الهدم والتخريب.

وللتوضيح..

أدرك اليهود في ذلك الوقت قوة الدين الإسلامي وسرعة انتشاره، وأيقنوا أن القرآن محفوظ في الصدور، مما يجعل احتمالية تحريفه كما فعلوا بالإنجيل والتوراة أمرًا غير وارد بشكل كبير، فبدأوا في تحريف تفسير القرآن والحديث النبوي.

سنتناول هنا بإيجاز مرحلتين هامتين في تاريخ التفسير والحديث النبوي:[١]

◆ **مرحلة الرواية**: وهي المرحلة التي كان فيها رسول الله ﷺ يتلقى الوحي ويحدث الناس بما جاء في القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتعاليم والقصص القرآني.

كان النبي ﷺ يروي على الصحابة؛ ثم يقوم الصحابة بنقل ما سمعوه لمن لم يكن حاضرًا، أو للمسلمين الجدد. في هذه المرحلة، استغل اليهود بعض جوانب القصص القرآني التي جاءت مجملة، فبدأوا في سرد تفاصيل لها استنادًا إلى ما لديهم في التوراة والتلمود والإنجيل، وبدأ الصحابة يستمعون لما لا يمس أمور التشريع. وهكذا دسّ اليهود قصصهم المحرفة بين قصص القرآن.

ويمكن ترتيب مراحل دقة الرواية كما يلي:

كان الصحابة أكثر حرصًا على السند والراوي من التابعين، وهؤلاء بدورهم أكثر دقة من تابعي التابعين.

◆ **مرحلة التدوين**: في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، بدأت مرحلة التدوين، حيث قام الخليفة بتدوين الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، وكان يدقق في الأسانيد والمرويات ويختار ما صح منها، ويحرص على روايات الرواة الصادقين

(١) انظر كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد ابو شبه ص٢٣

والموثوقين. كما جمع القرآن في المصحف العثماني الذي نقرأه اليوم.

وفيما بعد، ظهر عصرٌ لم يفرق فيه البعض بين الصحيح والخطأ من الروايات، ولم يكتفوا برواية الإسرائيليات فحسب، بل زادوا عليها رواية الخرافات والأساطير التي لا تستند إلى أي كتاب موثوق، وبرز في هذا الوقت أناس عُرفوا بالقصّاصين، كانوا يرتادون المساجد والمجالس ليقصّوا قصص الأقوام السابقة، بما فيها من دسائس وتحريف؛ لكن الصحابة تصدوا لهم، ومن المشهور أن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ منع انتشار هذه الظاهرة، ولم يسمح بها إلا لأمثال الحسن البصري، الذي كان موثوقًا في حديثه.

ومع مرور الزمن، شاعت الإسرائيليات بين بعض المفسرين، خاصة في التفاسير المبكرة، إلا أن العلماء بدأوا يضعون ضوابط للتعامل مع هذه الروايات، فكان الإمام الطبري، على سبيل المثال، يعتمد على بعض الروايات الإسرائيلية في تفسيره، لكنه كان ينتقد الروايات المخالفة للقرآن والسنة. أما العلماء المتأخرون، مثل ابن كثير، فقد أبدوا تحفظات أكبر تجاه الإسرائيليات، وحذّروا من الاعتماد عليها بشكل مفرط.

هذه كانت نظرة سريعة لظهور الإسرائيليات في شبه الجزيرة العربية وتاريخ تطورها، وسنتناول الآن تصنيف الإسرائيليات وتعريفها كما اتفق عليها علماء الأمة:

١. تعريف الإسرائيليات:

عـرَّف علـماء الأمـة الإسرائيليـات بأنهـا القصـة أو الحادثـة التـي تـروى عـن مصـدر إسرائيـلي.

وقـد تطـور تعريـف هـذا المصطلـح ليشـمل «كل مـا دخـل إلى الـتراث الإسـلامي، خاصـة في مجـال التفسـير، مـن روايـات لهـا أصـل يهـودي يمكـن الوقـوف عليـه، وأمـا مـا لم نجـد لـه أصـل في مصادرهـم ولا يقبلـه العقـل أو المنطـق وكان مـن روايـات اليهـود أو ممـن أسـلم منهـم، فهـو مـن بـاب الخرافـات والأسـاطير.» وقـد أطلـق علـماء التفسـير والحديـث مصطلـح الإسرائيليـات عـلى كل ذلـك، مـن بـاب تغليـب اللـون اليهـودي عـلى غـيره.[١]

بدأ علماء التفسير في تقسيم الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام:

◆ **أولًا:** مـا يوافـق مـا صـح مـن شريعـة الإسـلام، مثـل مـا ورد مـن حديـث تميـم الـداري عـن يأجـوج ومأجـوج، ومـا ورد عـن صاحـب موسـى، وهـو الخـضر. وهـذا القسـم بعـد إقـرار الإسـلام لـه يُعتـبر مـن الإسـلاميات، ولا ينبغـي أن يُطلـق عليـه مصطلـح الإسرائيليـات لأن الإسـلام قـد نسـخ مـا قبلـه.

◆ **ثانيًـا:** مـا يخالـف شريعـة الإسـلام، وعُلِـم بطلانـه. مثـل مـا ورد عـن الأنبيـاء بـما يشـين عصمتهـم، كقصـص وردت عـن سـيدنا لـوط ويوسـف وداود وسـليمان عليهم السلام. وقـد نهـى رسـول الله

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث ص١٣

ﷺ عن ذلك في حديثٍ رواه عبد الله بن عباس في الصحيحين حيث قال:

«يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ وكِتَابُكُمُ الذي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَحْدَثُ الأَخْبَارِ باللهِ، تَقْرَؤُونَهُ لَمْ يُشَبْ... أَفَلا يَنْهَاكُمْ ما جَاءَكُمْ مِنَ العِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ؟...

وقد جاء عن جابر بن عبد الله ﷺ أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبي ﷺ، فغضب فقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق، فتكذبوهم به، أو بباطل فتصدقوا، والذي نفسي بيده، لو أن موسى ﷺ كان حيًّا، ما وسعه إلا أن يتبعني.»

« هذا القسم بطلانه واضح، ولا بد من تنقية التفسير منه، ولا يُذكر إلا على سبيل التبليغ والتحذير.

◆ **ثالثًا**: ما ليس في شريعتنا ما يوافقه ولا ما يخالفه، أي ما هو مسكوت عنه، فلا نؤمن به ولا نكذبه. وهذا هو القسم المعني بحديث أبي هريرة، إذ قال: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل علينا...». وهذا القسم غالبًا ما يتضمن

أساطير وخرافات، مما يجعل بقاءها في التراث ذا أثر سلبي؛ إذ يضيف إلى التراث الإسلامي روايات غير عقلانية ومنطقية.[١]

ومن أشهر رواة الإسرائيليات في كتب التفسير:

١) عبد الله بن سلام

٢) كعب الأحبار

٣) وهب بن منبه

وإن كانوا من الصحابة الذين أسلموا في حياة رسول الله أو بعد وفاته وصلح إسلامهم، وبالفعل تمت رواياتهم لأحاديث صحيحة، إلا أن وضعهم لمرويات واردة من كتب أهل الكتاب جعلهم على قائمة الريبة والتشكيك في رواياتهم.

وقبل أن نختم هذا القسم، من المهم فهم الهدف من انتشار هذه الإسرائيليات. فقد أشار أحد المستشرقين بقوله: «مطلوب إعادة تفسير القرآن ونقده تاريخيًا من قبل المسلمين ليعرفوا ما يدينون به لليهودية ولبني إسرائيل.» هذا التصريح يكشف عن مخطط خبيث يرمي إلى إقناع المسلمين بأن رسولهم ﷺ قد استمد دينه بالكامل من علماء اليهود وأحبارهم وأسفارهم.[٢]

ولذا، يجب على المسلمين اليوم التعامل بحذر مع هذه

(١) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة، بيروت.

(٢) محمد حسين الذهبي. الإسرائيليات في التفسير والحديث. دار الكتب الحديثة، القاهرة.

الروايـات، والاعتـماد عـلى القـرآن والسـنة الصحيحـة في فهمهـم للتاريـخ الدينـي والقصـص القرآنيـة.

٢

القصاصين

كنا قد تناولنا فيما سبق مسار انتشار الإسرائيليات في تاريخ القصص القرآني، وذكرنا ظهور جماعة تسمى القصاصين .

فمن هم ؟! و كيف ساهموا في سرعة انتشار الإسرائيليات بين المسلمين الأوائل؟! وكيف تمت مجابهتهم إذن ؟!

عندما جاء إلى الإمام العادل عمر بن الخطاب ﷺ كلٌّ من تميم الداري والحارث بن معاوية الكندي يستأذنانه في إلقاء القصص على الناس في المساجد وغيرها، رفض سيدنا عمر ذلك رفضًا شديدًا في البداية. لكن مع استمرار إلحاحهم، وافق بشروط محددة، وهي أن يتحدثوا في مواضيع معينة وفي أوقات محددة فقط[١].

ومنذ ذلك الحين، بدأت ظاهرة القصّاصين في الانتشار.

المعنى الشائع للقصص بين الناس هو فن مخاطبة العامة باستخدام القصة، ويكون الغرض منها عادة الوعظ والتذكير، كما قال الله تعالى:

(١) كتاب مهذب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للإمام جلال الدين السيوطي ص٣

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف:١١١].

وكما ذكرنا، لم يكن القصّاصون في عهد سيدنا عمر بن الخطاب أحرارًا، بل كانوا ملتزمين بموضوعات وأوقات محددة.

ومع ذلك، كان بعض الصحابة يعترضون على وجودهم، وكانوا يتربصون بهم لكشف دوافعهم الفاسدة من حب الشهرة وكسب الجاه. بل إن بعض الصحابة استعانوا برجال الشرطة لطردهم من المساجد. لم يكن هذا تشددًا، بل هو بُعد نظرٍ من الصحابة لما كانوا يرونه من دوافع هؤلاء القصّاصين.

وبالفعل، ازداد تأثير القصّاصين في عهد التابعين، خاصة في فترة الفتنة الكبرى التي أدت إلى مقتل عدد كبير من الصحابة، وزاد انتشارهم في عهد الدولة العباسية، حيث كان لهم تأثير واضح في الناس والأدب والحديث. وامتد التصوف في ذلك الوقت ليغذيهم بالخرافات والأباطيل، ويلبس الشعوذات لباس الدين، وكانت الإسرائيليات أيضًا معينًا لهم.

لكننا قد نسأل أنفسنا: ما دام الدين قويًّا، فماذا يستطيع هؤلاء القصّاصون فعله؟

في الحقيقة، استطاع هؤلاء القصّاص أن يؤثروا على العامة تأثيرًا سيئًا، فقد أدت أقاصيصهم إلى تشويه حقيقة الإسلام في أذهان الناس، فأصبحوا يرون البدعة سنة، والسنة بدعة. اختلطت الأكاذيب لديهم بنصوص الدين الثابتة، وانتشرت بسببهم الأحاديث الموضوعة والضعيفة.

وقد وصف ابن قتيبة ﷺ أثرهم السيء كما ورد في كتاب مهذب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص فقال:

«فإن القصاص يميلون وجوه العوام إليهم ويستدرّون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث. ومن شأن العوام القعود عند القاصّ ما كان حديثه عجيبًا خارجًا عن فِطَر العقول، أو كان رقيقًا يحزن القلوب ويستغزر العيون. فإذا ذكر الجنة قال: فيها الحوراء من مسك أو زعفران، وعجيزتها ميل في ميل، ويبوّئ الله تعالى وليه قصرًا من لؤلؤة بيضاء، فيه سبعون ألف مقصورة، في كل مقصورة سبعون ألف قبة، في كل قبة سبعون ألف فراش، على كل فراش سبعون ألف كذا وكذا... فلا يزال في سبعين ألف كذا، كأنه يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين ألف ولا دونها، ويقول لأصغر من في الجنة منزلة عند الله من يعطيه الله تعالى مثل الدنيا كذا ضعفًا، وكلما كان هذا أكثر كان العجب أكثر، والقعود عنده أطول، والأيدي بالعطاء إليه أسرع، والله تبارك وتعالى يخبرنا في كتابه

بما في جنته بما فيه متقن عن أخبار القصاص وسائر الخلق.»

ومن أكبر الجرائم التي ارتكبها القصّاصون وضع الأحاديث، فقد كان القصّ يتطلب الإسهاب والتجديد، فاندفعوا إلى وضع الأحاديث بهدف كسب الشهرة. عند استعراض الأحاديث الشائعة بين العامة، نجد أن كثيرًا من الأحاديث الباطلة قد سمعوها من هؤلاء القصّاصين، الذين سعوا لإرضاء الناس وإسعادهم بدلًا من توجيههم وتعليمهم. أصبح القاص كالمغني الذي لا همّ له إلا إطراب السامعين، وبعضهم اليوم يتابعه الملايين بفضل أسلوبه الغريب والمُتقن في سرد القصص.

وللأسف، سكت كثير من علماء الأمة عن قول الحق خوفًا من تأثير القصّاص وسلطانهم المكتسب من التفاف العامة حولهم، مما أدى إلى مجاملتهم في الباطل. وبرزت هذه الظاهرة بشكل أوضح في الأزمنة المتأخرة، حيث انشغل بعض العلماء بتبرير أخطاء هؤلاء وتأويل أحاديثهم المنكرة.

من المؤسف أن يصبح توجيه الأمة وشبابها بيد الجهلة والعوام بدلًا من العلماء والحكماء، وهذا من أعظم المصائب وأسباب ضعف الأمة ودمارها.

وبعد تتبع مسار الإسرائيليات ومن ساهم في انتشارها، دعونا ننتقل إلى التمعن في قصص القرآن الكريم كما وردت في كتاب الله وكما نقلها لنا أشرف الخلق، محمد ﷺ.

٣

بدء الخلق

سُئل الإمام أبو حنيفة: «بما عرفت الله؟»، فالتفت إلى محاوريه من الملحدين الذين يزعمون أن الكون خُلق صدفة بدون خالق، ونظر في أعينهم بتمعن، ثم قال لهم:

أتدرون! كنت أقف عند نهر الفرات وفجأة وجدت الأشجار تُقطع وحدها، وتصنع منها ألواح خشبية وحدها، ثم تجمعت هذه الألواح وصنعت سفينة وحدها، وشُحنت بالبضائع وحدها، ثم كادت أن تمضي في النهر وحدها، فقفزت بداخلها لتسير وحدها بلا قائد.

فتعجب محاوروه واتهموه بالجنون، قائلين: «أتريدنا أن نصدق أن السفينة فعلت كل هذا وحدها؟!».

فردّ الإمام قائلاً: «أنتم أولى بالجنون، إذ تدّعون أن هذا الكون الهائل - بأرضه وسمائه وكواكبه وبحاره وجباله - خُلق صدفة من غير صانع».

هذه القصة التي تروي مناظرة الإمام أبي حنيفة مع الملحدين، حيث استخدم مثال السفينة التي تسير دون قائد

لإثبات وجود الله، تُنقل في بعض المصادر. على سبيل المثال، يُذكر في كتاب «شرح تفسير ابن كثير» للشيخ عبد العزيز الراجحي:

«هذه القصة مشهورة عن أبي حنيفة، ذكرها شارح الطحاوية وغيره، وأنه قال لهم: أخبروني عن سفينة في نهر دجلة تمشي وحدها من دون ملاح، وتقف وتفرغ، وتحمل البضاعة...»

وبالرغم من تشكيك الباحثين في صحة هذه القصة، مشيرين إلى عدم وجود توثيق دقيق لها في المصادر المعتبرة إلا أنها تحمل إجابة منطقية على بعضٍ من أسئلة الملحدين عن وجود الخالق من عدمه .

ومَن منا لم يسأل نفسه يوماً: ماذا كان يوجد قبل خلق كل شيء؟ قبل خلق السماوات والأرض، قبل خلق النور والظلام، وأين كان الله قبل أن يخلق هذا الكون؟

كان هناك جواب يوقف سلسلة هذه التساؤلات، وهو: «إنها غيبيات ليس لنا الحق في الاستفسار عنها».

لكن هذه الأسئلة لم تكن فقط مجرد تساؤلات الملحدين أو محاولات المفكرين، بل كانت أسئلة صادرة عن قلوب المحبين لرب العالمين.

ففي الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل عندما جاء رجل يسأل النبي ﷺ: «يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن

يخلق السماوات والأرض؟» لم يُنكر عليه السؤال، بل أجابه قائلاً: «كان في عماء، ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء».[١]

وجاءه وفد من اليمن ليسألوه عن أصل هذا الكون، فقال لهم: «كان الله ولم يكن شيء قبله. وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السماوات والأرض».

تلك كانت بداية كل شيء؛ بداية الكون الفسيح، والخلق البديع، والإعجاز المحكم. في البداية لم يكن هناك إلا عرش الرحمن على الماء، فلما أراد الله أن يخلق الخلق، بدأ بخلق أول شيء، وهو القلم، وقال له: «اكتب»، فجرت الكتابة في تلك اللحظة بما هو كائن إلى يوم القيامة.

يروي عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء.

جرى القلم بإذن الله على لوح محفوظ من درة بيضاء، صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور وكتابه نور، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء. وفي صدر هذا اللوح كُتب:

(١) كتاب البداية والنهاية ابن كثير ص٢٧

«لا إلـه إلا الله وحـده دينـه الإسـلام ومحمـد رسـوله، فمـن آمـن بـالله وصـدق بوعـده واتبـع رسـله، أدخلـه الجنـة.»

طولـه مـا بـين السـموات والأرض، وعرضـه مـا بـين المشرق والمغـرب، وكلامـه معقـود بالعـرش، وأصلـه في حجـر ملـك. ثـم أمـر الله بالبـدء في خلـق الكـون، فخلـق الأرض أولاً لأنهـا الأسـاس في البنـاء، ثـم غـلى المـاء وتصاعـد بخـاره ليصبـح دخانًـا، فارتفـع فـوق المـاء، وسـما عليـه فأصبـح سـماء، ثـم فصـل الله بـين السـماء والأرض وفتقهـما ليصبـح مـن الأرض سـبعًا ومـن السـماء مثلهـن.

وعندمـا أكمـل الله خلـق العـالم السـفلي والعلـوي، دحـا الأرض وأخـرج منهـا مـا كان مودعًـا فيهـا، فخرجـت العيـون وجـرت الأنهـار ونبت الـزرع والثـمار. قـال الله تعـالى: «والأرض بعـد ذلـك دحاهـا، أخـرج منهـا ماءهـا ومرعاهـا.» وكان مـن حكمتـه سـبحانه أن جعـل كل مـا عـلا اتسـع؛ فـكل سـماء أعـلى مـن التـي تحتهـا، فهـي أوسـع منهـا، كـما قـال تعـالى: «والسـماء بنيناهـا بأيـدٍ وإنـا لموسـعون، والأرض فرشـناها فنعـم الماهـدون، ومـن كل شيء خلقنـا زوجـين لعلكـم تذكـرون.»

لم يسـتغرق خلـق الكـون إلا سـتة أيـام فقـط. قـال الله تعـالى: «والـذي خلـق السـموات والأرض ومـا بينهـما في سـتة أيـام.» ولكـن هـل هـذه الأيـام كأيامنا أم أنهـا كأيـام الآخـرة؟ لم يترك الله شـيئًا إلا ووضحـه لنـا في كتابـه الكريـم، حيـث قـال: «وإن يومًـا

عند ربك كألف سنة مما تعدون.» ولم ينتهِ أحد من المفسرين إلى تأكيد ماهية تلك الأيام، هل هي كأيامنا أو أنها تجري بمقدار حدده الله لا نعرفه، ولكن ما علينا معرفته أنها ستة أيام.

خلق الله ما في الأرض جميعًا من رواسي وأقوات وبارك فيها ودحاها وأخرج ماءها ومرعاها في أربعة أيام، ثم خلق السموات بما فيها من أجرام وكواكب وملائكة في يومين، ثم استوى الله على العرش في اليوم السابع.

وبذلك انتهت عملية الخلق الأولى للكون من سماء وأرض وزروع وجبال وملائكة وجان، وهذا ما ورد في الأحاديث الصحيحة المتوافقة مع كلام الله في قرآنه العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعلى لسان حبيبه وصفيه سيدنا محمد ﷺ.

لكن البعض اختلق وابتدع من خيالهم بعض القصص التي لا صحة لها، مثل الجوهرة الخضراء التي يبلغ حجمها أضعاف حجم السموات والأرض، والتي تحولت إلى ماء ثم غلى وارتفع منها زبد ودخان، وخلق من ذلك السماء والأرض، فظهر أول ما ظهر من الأرض مكة. في روايات مكذوبة أخرى، يُقال إن الله أنزل ملكًا يحمل الأرض على كتفيه، ولكنه لم يكن تحت قدميه شيء، فأنزل الله ثورًا عملاقًا.[1]

(١) قصص الأنبياء المسمى بالعرائس ص٨

لكن دون الخوض في هذه القصص المبتدعة وما فيها من غرائب، دعونا نتأمل الأمور المذكورة: لماذا لم ينزل الله بهذه القصة في القرآن إن كانت صحيحة؟ لماذا لم ينقلها لنا رسوله الكريم؟ وإن تدبرنا سياق القصة، لماذا لم يخلق الله هذا الملك قويًا بما فيه الكفاية ليحمل الأرض دون الحاجة إلى ثور وحوت وصخرة؟ وهل كان الله ﷻ لم يعلم، وهو العليم الخبير، أن الملك لا يستطيع حمل الأرض وحده؟

كلها خرافات لم يستوعبها العقل المدبر المفكر الذي يصدق أن قدرة الله نافذة منذ الأزل. ولننتقل إلى سفاهة أخرى. فقد زعموا على لسان سيدنا علي بن أبي طالب حديثًا لم يثبت عن أحد من الثقات،

وهو أنه قال: «أول ما خلق الله الأرض عجت وقالت: «يارب لا تجعل بني آدم يعملون علي الخطايا ويلقون علي الخبائث»، فاضطربت، فأرساها الله تعالى بالجبال فأقرها، وخلق الله جبلًا عظيمًا من زبرجدة خضراء، خضرة السماء منه، يقال له جبل قاف، فأحاط بها كلها، وهو الذي أقسم به، فقال: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق:١].»

هل ترى المقصد يا ابن آدم من هذا الحديث؟! ألم تعلم الآن لماذا خُلِقَت متمردًا على كل شيء؟ ألم تكن أمك التي خلقت منها متمردة مثلك لأوامر خالقها؟ ومن الغريب أنهم نسوا تمامًا الآية الكريمة التي يأمر الله فيها الأرض

والسموات ويقول: «ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرها قالتا أتينا طائعين». فنفى الله عن الأرض في كتابه صفة التمرد، فكيف نثبتها نحن؟!

أما فيما يتعلق بالأيام التي خلق الله فيها الأرض، فقد قال الضحاك بن مزاحم وكعب الأحبار أن أسماء الأيام الست هي: «أبجد هوز حطي كلمن سعفن قرشت»، وهذا لم يُذكر في أي موضع من مواضع الثقات.

وقد ذكر الثعلبي النيسابوري في كتابه «عرائس المجالس»: «روى الرواة أن الله تعالى ابتدأ خلق الأشياء يوم الأحد إلى يوم الخميس، وخلق يوم الخميس ثلاثة أشياء: السموات، والملائكة، والجنة، إلى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة، فخلق في الساعات الأولى الأوقات والآجال، وفي الثانية الأرزاق، وفي الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام.»

ثم بدأوا في تفصيل عمل الأيام: «خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة، آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة بين العصر والليل، ثم استوى الله على العرش في اليوم السابع.»

وبهذا تكون قد انتهت عملية الخلق وفقًا لإسرائيليات التفسير.

ومنكم من يسألني: نحن العامة الذين ليس لنا في كتب التفسير جولات لنتفقه في الدين، كيف نعرف أن هذا النص من الموضوعات والمكذوبات؟ سأخبركم بسر:

عندما يهاجمني عقلي بهذا السؤال، أهاجمه بسؤالين أساسيين هما:

١. ماذا سأستفيد أنا من معرفة هذه المعلومة؟ هل ستغير في عقيدتي من شيء؟

٢. ماذا سيستفيد الطرف الآخر من إقحام هذه المعلومة في سياق القصة؟

وعندما تكون الإجابة على السؤال الأول أنها لن تفيدني في شيء، أعرض عنها وأستغني. أما عندما تكون الإجابة على السؤال الثاني هي فتح مجالات للتشكيك في الفرع الذي خرج من الجذر، وبالتالي التشكيك في الجذر نفسه، أبدأ في البحث عن ما يقابله في القرآن والسنة وعند الثقات من العلماء المشهود لهم بالصدق والإنصاف لأعلم الحق الذي يجب علي اتباعه.

ولنجعل هذين السؤالين منهاجًا للبحث والتدقيق والتصديق. وسنتابع معًا بإذن الله في المقالات القادمة ما ثبت وما ابتدع عن كل مرحلة من مراحل الخلق.

« العرش، الكرسي، الجبال ، البحار، الملائكة ،والجان»

٤

عرش الرحمن وكرسيه

أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال له:

«يا رسول الله جهدت الأنفس، وجاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسقِ الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك.»

فماذا فعل رسول الله؟!

غضب رسول الله ﷺ وقال:

«ويحك، أتدري ما تقول؟» وسبح رسول الله، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في نفوس أصحابه. ثم عاد فقال:

«ويحك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك، أتدري ما الله؟ إن عرشه على سماواته، لهكذا، وقال بأصابعه مثل القبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب.»[1]

إنه العرش الذي يتجلى الله عليه من فوق سبع سماوات، والذي خُلق قبل أي شيء، ليستوي الرحمن عليه كما قال

(١) البداية والنهاية لابن كثير ص٢٨

تعالى: «ثم استوى على العرش.»

إنه العرش الذي قال الله تعالى فيه:

«فتعالى الله الملك الحق، لا إله إلا هو، رب العرش الكريم.»

ولكن ما هي صفة عرش الرحمن؟ وأين هو؟ وهل هناك فرق بينه وبين الكرسي؟

تعالوا معي نتبيَّن الآثار الواردة في ذلك. عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إذا سألتم الله الجنة، فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، وفوقه عرش الرحمن.»

وجاء في بعض الآثار أن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش، وهو تسبيحه وتعظيمه.

تخيلوا أن ما بين العرش والأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة، وأن اتساعه مسيرة خمسين ألف سنة. قال تعالى:

«تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.»

ولكن على ماذا ثبت العرش؟ ومن هم حملة العرش الذين قال الله فيهم:

«الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا»؟!

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن العرش يحمله ثمانية ملائكة، أذن لرسول الله ﷺ أن يتحدث عن أحدهم. قال:

«أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله ﷻ من حملة العرش، أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام.»

لكم أن تتخيلوا معي أن ملكًا واحدًا منهم بين شحمة أذنه إلى كتفه مسيرة سبعمائة عام، وهو واحد فقط. فكيف يكون جسده؟ وكيف يكون حجمه بالنسبة للبقية؟ وكيف يكون حجمهم بالنسبة للعرش؟ سبحان الله ذو العزة والجبروت.

ولكنهم ليسوا مجرد ملائكة يحملون العرش وكفى، بل هم من أوصانا رسول الله ﷺ وقال:

«من قال حين يصبح وحين يمسي: اللهم إني أصبحت أشهدك، وأشهد ملائكتك، وحملة عرشك، وجميع خلقك، بأنك الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأشهد أن محمدًا عبدك ورسولك، أعتق الله ربعَه من النار. فإن قالها أربع مرات، أعتقه الله كله من النار.»

كما أنهم يستغفرون أيضًا للذين آمنوا، ويسبحونه ويعبدونه.

هذا هو العرش وحملته، فما الفرق بينه وبين الكرسي؟ لكي نتخيل الفرق بينهما، دعونا نستمع إلى حديث الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، الذي نقل عن رسول الله ﷺ قوله:

«والذي نفسي بيده، ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة.»

وعندما سئل رسول الله عن أي آية نزلت ، قال:

«آية الكرسي، كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة.»

تخيلوا أن الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في صحراء، كما ورد في حديث ابن عباس:

«الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله ﷻ.»

وقال السدي عن أبي مالك:

«الكرسي تحت العرش.»

وأضاف أيضًا:

«السماوات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش.»

هل لكم أن تتخيلوا كيف لهذا الكون العظيم، بسماواته وأرضه وكواكبه، أن يكون بداخل الكرسي، وأن هذا الكرسي العظيم هو موضع للقدمين، بينما العرش الذي يستوي عليه الله ذو العزة والجبروت لا يقدر قدره إلا الله؟

وبالرغم من صغر أحجامنا وقدرنا أمام عظمة الخلق وقدرة الله فينا، إلا أنه خرج منا من يتقول على هذه الحقائق العظام ويدس بها الدسائس. فقد قالوا عن العرش إنه فلك مستدير من جميع جوانبه، محيط بالعالم من كل جهة، وسموه الفلك التاسع. والفلك هو الأطلس والأثير. وقد ثبت بالشرع أن له قوائم تحمله الملائكة، والفلك لا يكون

لـه قوائـم ولا يحمـل. وهـو أيضًـا فـوق الجنـة، والجنـة فـوق السـماوات، وفيهـا مائـة درجـة، مـا بـين كل درجتـين كـما بـين السـماء والأرض. فالبعـد الـذي بـين العـرش والكـرسي ليـس هـو نسـبة فلـك إلى فلـك.

وبـما أن القـرآن نـزل بلغـة العـرب، فـإن العـرش في اللغـة يعنـي السريـر ذو القوائـم الـذي تحملـه الملائكـة، وهـو كالقبـة عـلى العـالم، وهـو سـقف المخلوقـات.

لكـن خـرج علينـا بعـض النـاس وقالـوا إن الكـرسي هـو العـرش، لكنـه بإسـناد الصحابـة والتابعـين، غـير العـرش، وأنـه ليـس الفلـك الثامـن الـذي يسـمونه فلـك الكواكـب الثوابـت، وأن هـذه الكواكـب ليسـت مثبتـة فيـه، بـل ثبـت أن العـرش أعظـم مـن السـماوات السـبع بـشيء كثـير.

وأمـا مـا أورده الثعلبـي في كتابـه عرائـس المجالـس، عـن جعفـر بـن محمـد عـن أبيـه عـن جـده، قـال في العـرش: «مثـل جميـع مـا خلـق الله تعـالى في الـبر والبحـر»، وقـال هـذا تأويـل قولـه: «وإن مـن شيء إلا عندنـا خزائنـه.»

وأضـاف أن مـا بـين القائمـة مـن قوائـم العـرش والقائمـة الأخـرى لخفقـان الطـير المسرع لثمانـين ألـف عـام، وأن العـرش يكسـى كل يـوم سـبعين ألـف لـون مـن النـور، لا يسـتطيع أن ينظـر إليـه خلـق مـن خلـق الله تعـالى. والأشـياء كلهـا في العـرش كحلقـة ملقـاة في فـلاة، وأن لله ملـكًا يسـمى حزقيائيـل لـه

ثمانية عشر ألف جناح، ما بين الجناح مسيرة خمسمائة عام، فخطر له خاطر أن يقدر أن ينظر إلى العرش، فزاده الله تعالى في الأجنحة مثلها، فكان له ستة وثلاثون ألف جناح، ما بين الجناح والجناح مسيرة خمسمائة عام. ثم أوحى الله حتى ختمها فتركه، فذهب فلم يعد ذلك.

إن كل هذا من باب التأويل على خلق الله ولم يثبت به أحاديث صحيحة.

٥

الحِن والبِن والجن

في عام ١٨٨٠ في ولاية بنسلفانيا، حفر مجموعة من العمال بئرًا فوجدوا فيه عظامًا لكائنات تشبه الإنسان، وعندما قام العلماء بتحليلها، اكتشفوا أن عمرها يصل إلى ما يقارب أربعة ملايين سنة.

وفي عام ١٩٧٤ في إثيوبيا، اكتُشِفَت حفريات شبيهة بالبشر تعود إلى ٣,٢ مليون سنة.

وفي نفس المنطقة، وبالتحديد في إقليم عفر في إثيوبيا، عُثِرَ على عظمة فك تعود إلى ما قبل ٢,٥ مليون سنة.

لقد حيرت هذه الاكتشافات العلماء؛ فعمَر هذه الحفريات يتجاوز ملايين السنين، بينما عند حساب عمر الأرض بناءً على الدراسات العلمية، تبين أن عمر الأرض لا يتعدى أربعين أو خمسين مليون سنة، وبعض الدراسات الأخرى تقول إنه لا يتجاوز مائة ألف سنة.

وبناءً على حساب أعمار الأنبياء منذ خلق آدم عليه السلام وحتى محمد ﷺ، وُجِدَ أن عمر الأرض لا يتعدى ستة آلاف إلى عشرة آلاف سنة.

ومن هنا جاء تفسير العلماء لتلك الآية الكريمة التي أخبر الله فيها ملائكته، حيث قال:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٣٠].

إذن، كان الملائكة يعلمون أن الخليفة سيفسد في الأرض ويسفك الدماء. فكيف عرفوا ذلك إلا إذا كانوا قد شهدوا طبيعة هذا المخلوق أو حدث ما يشبه ذلك من قبل؟ وقد فُسِّرَ قول الملائكة بأنه يعود إلى حربهم مع الجن على الأرض عندما سفكوا الدماء وعصوا الله.

لكن هنا بدأ العلماء والمفسرون بالتفكير والتساؤل: هل للجن دماء وهم مخلوقون من نار؟

كيف إذًا عرف الملائكة ذلك؟

هل جاء الإنسان ليكون خليفة للجن أم خليفة لقوم آخرين أم خليفة ليخلف نفسه؟

هل حدثت بالفعل حرب بين الملائكة والجن؟

وقد جاء في كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير ما قد يُنهي حيرة العلماء:

«قال كثير من علماء التفسير: خلق الله الجن قبل آدم عليه السلام، وكان قبلهم في الأرض الحن والبن، فسلط الله الجن عليهم فقتلوهم وأجلوهم عنها وأبادوهم، وسكنوا الأرض بعدهم بسبب ما أحدثوه.»

ومن خلال هذا النص، تبين لنا من كلام العلماء أن هناك نوعين من المخلوقات الذين سبقوا بني آدم وهما: الجِن والبِن والجن.

أما الجن والبن، فقد ذكر المسعودي في كتاب «أخبار الزمان» أن الله خلق ثمانية وعشرين أمة، تزوجوا فيما بينهم حتى وصلوا إلى مائة وثمانٍ وعشرون أمة.

وكانوا مخلوقات ذات صفات غريبة:

مخلوقات لا هي من الإنس ولا من الجن، سكنوا الأرض، لهم أجنحة وكلامهم كقرقعة، وأبدانهم كالأسود ورؤوسهم كالطيور، ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوي.

ومنهم من له وجهان، أحدهما من الأمام والآخر من الخلف، وأرجلهم كثيرة.

ومنهم ما يشبه نصف إنسان وكلامهم مثل صياح الغرانيق، ومنهم من له وجه كآدمي وظهره كالسلحفاة، وكلامهم مثل عوي الكلاب.

وحسب المصادر التي ذكرت أنهم عاثوا في الأرض فسادًا وسفكوا الدماء، لأنهم مخلوقون من الماء والتراب مثل الإنسان، أرسل الله إليهم الجن فحاربوهم وأنهوهم، وسكنوا الأرض مكانهم.

لكن بعض المفسرين والعلماء زعموا أن قوم الجن والبن هم أنفسهم قوم يأجوج ومأجوج، الذين هربوا من الجن في جبال القوقاز وخرجوا في زمن ذي القرنين.

ولكن كل ما ذكر أعلاه لا يوجد له أي دليل في كتاب الله أو سنة نبيه، لذلك لا يمكننا الاعتراف به، ويمكن وصفه بأنه مجرد أسطورة من أساطير اليونان أو الفرس، أو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

أما المخلوقات المذكورة في الكتاب والسنة، فهم بالتأكيد الجن.

لكن هل هم المقصودون في حديث الملائكة؟

دعونا نتتبع الآثار لنجيب على هذا السؤال ..

في البداية، لا بد أن نعلم أن الجن هم مخلوق من مخلوقات الله خلقهم لعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

إذًا، هذا هو سبب خلقهم، وأما مادة خلقهم فهي النار، كما قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن:١٥].

والمارج هو طرف اللهب، وقد خلق الله الجن قبل آدم كما ورد في قوله: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧].

ويقال في بعض المصادر أن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء، والجن يوم الخميس، ولكن أين خلقهم؟ على سبيل المثال؛

قال السدي في تفسيره:

«لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش، فجعل إبليس على ملك الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يُقال لهم الجن، وسُموا بالجن لأنهم خُزَّان الجنة، وكان

إبليس مع ملكًا خازنًا، فوقع في صدره أن الله قد أعطاه هذا لمزية عن الملائكة.»

ولكن هناك قول آخر يُنسب إلى بعض العلماء:

«يُقال أن الجن لما فسدوا في الأرض وسفكوا الدماء، بعث الله إليهم إبليس ومعه جند من الملائكة، فقتلوهم وأجلوهم عن الأرض إلى جزائر الجبال.»

ولكن هذا القول غير منسوب إلى رسول الله ﷺ، فلا يمكن الاستناد إليه.

وقال آخرون: إن إبليس قبل أن يرتكب المعصية كان اسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض، ومن أشد الملائكة اجتهادًا وأكثرهم علمًا، وكان من حي يُقال لهم الجن. وهنا، وقف الحسن البصري وقفة حازمة صارمة وقال: «لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل البشر».

ولكن هذا الخلاف قد حسمته الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠].

إذن، إبليس لم يكن من الملائكة طرفة عين، بل كان من الجن، ورفض السجود لآدم كما سجدت الملائكة، ففَسَقَ عن أمر ربه، فتم إهباطه من الملأ الأعلى، وحرُمَ عليه، وقدر له أن يسكن الأرض ذليلاً، هو ومن اتبعه من الجن والإنس.

إذن، الجن هم قوم خلقهم الله للعبادة، خلقوا قبل بني آدم، وحُجبوا عن أعين البشر، يروننا من حيث لا نراهم؛ منهم الصالحون والطالحون، يتزوجون ويتناسلون؛ ومن صلح منهم فهم الجن، ومن فسق منهم فهم الشياطين، مثل الذين تبعوا إبليس.

الآن، نعود للإجابة عن السؤال: «كيف علمت الملائكة أن الخليفة سيفسد في الأرض وسيسفك الدماء؟»

فقد اختلف العلماء في تفسير ذلك.

١. حرب الجن:

بعضهم انحاز إلى القول بأن الجن هم أول من سكن الأرض، فأفسدوا فيها، وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضًا. ولكن هذا القول يُعتبر من الإسرائيليات، ورغم انتشاره، لا يوجد له سند صحيح من القرآن أو السنة على أسبقية الجن في السكن على الأرض قبل آدم.

٢. خلق النار:

وبعضهم انحاز إلى هذا قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، حيث قال: لما خلق الله النار، خافت الملائكة خوفًا شديدًا من عظمتها وشرها، وهي النار التي قال رسول الله ﷺ عنها: «إن ناركم هذه التي توقدون جزء من ٧٠ جزءًا من نار جهنم». لذلك، قال عمر بن الخطاب: «اتقوا النار، فإن حرها شديد وقعرها بعيد ومقامعها حديد». تخيلوا أن

تكونوا مكان الملائكة، وتشهدوا خلق النار وتسألون الله: «يا رب، لمن خلقت هذه النار؟» فيقول الله: «لمن عصاني من خلقي». ولم يكن لله في ذلك الوقت خلق سوى الملائكة. فعندما قال الله للملائكة: «إني جاعل في الأرض خليفة»، علمت الملائكة حينها أن المعصية والفساد سيكونان لمن يعصي الله من هذا الخليفة وذريته.

٣. الاطلاع على اللوح المحفوظ:

وقال آخرون: أول ما خلق الله القلم، فقال له: «اكتب». فقال القلم: «ماذا أكتب؟» فقال الله تعالى: «اكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة». فكتب القلم في اللوح المحفوظ ما سيحدث على الأرض إلى يوم القيامة. ويقول أنصار هذا القول: ربما اطلعت الملائكة على ما كتب في اللوح المحفوظ، وعرفت ما سيحدث من بني آدم.

٤. عن طريق الالتزام:

وقالت طائفة أخرى: إن الملائكة علمت أن الخليفة سيحكم بين عباد الله بأوامر الله، وسيقضي بينهم بالحق، وهذا الحكم لا يكون إلا عند التنازع والتخاصم واللجوء إلى القضاء.

٥. عن طريق اليقين:

وهذا القول هو الأرجح والأصوب؛ فيقول المفسرون: إن الملائكة حكمت على هذا الخليفة بعد أن علمها الله صفاته، وأن حكمها كان على يقين لا على ظن؛ وتثبت ذلك الآية

الكريمة: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢].

إذن، لم يقذف الله علمًا في عقول خلقه إلا من فيض علمه وقدرته وحكمته. فسبحانك ربنا، علمتنا فنفعنا بعلمنا، وعلمنا بما ينفعنا.

٦

النمرود

بعد طوفان سيدنا نوح عليه السلام تقريبا ب ١٢٦٣ عام حسب تفسير الطبري.

ولد في بابل النمرود واختلفوا في نسبه هل هو من سام أم من حام ولكن الأساسي أنه ابن حفيد سيدنا نوح.

النمرود كان أعظم ملوك بابل وأول من وضع تاجا من ذهب على رأسه وأول من أسس دولة عرفها التاريخ، و بنى مدنا كثيرة في العراق ووسع مملكته حتى ملك الأرض حوالي ٤٠٠ سنة

وهو من القليل المتفق عليهم في جميع الشرائع السماوية أنه ملك ظالم وجبار .

كما في الحديث الشريف والذي أخرجه ابن الجوزي في تاريخه عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ: ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران؛ فالمؤمنان: ذو القرنين وسليمان، والكافران: نمرود وبخت نصر، وسيملكها خامس من أهل بيتي.

و في يوم من الأيام نام النمرود فجاءته رؤية أزعجته؛ أن هناك كوكب في السماء سطع فذهب به ضوء الشمس حتى لم يبق لها ضوء .

هذا المنام أزعج النمرود وطلب من الكهنة تفسيره، وكان الكابوس الأكبر بالنسبة له هو التفسير؛ وكان أنه سيولد ولد في هذه السنة سيهلك النمرود على يده .

استشاط غضبًا وأمر بقتل كل الصبيان التي ستولد في هذه السنة ليطمئن على ملكه.

حين علمت أمّ سيدنا إبراهيم بهذا القرار، قامت بإخفاء ابنها الوليد عن الأنظار حتى كبر وأصبح شاباً. عندها نفر من كل عادات قومه، من عبادة الأصنام وعبادة الكواكب، ومن الإله نمرود وما يُهدى له من هدايا. وبدأ يتفكر فيمن خلق الكون بشمسه وقمره ونجومه، فلما اهتدى إلى حقيقة وجود الله خالق هذا الكون الفسيح، بدأ يثور على قومه وأصنامهم.

وفي يوم وجدوا أصنامهم قد تكسّرت، وعلموا أن هذا الشاب المدعو إبراهيم هو من كسرها. فثاروا عليه وأخذوه إلى النمرود، وكان عقابه هو الحرق. فشرعوا يشعلون النار بالحطب حتى بنوا برجاً عظيماً من الأخشاب، وبدأت النار تتأجج ليخاف إبراهيم ويسجد للنمرود.

أُلقي سيدنا إبراهيم في النار ومكث فيها سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب، وكانت الملائكة تطعمه. وكلما نظر الناس

إليه وجدوه قائماً يصلي. فبدأ الكثير يؤمنون برب إبراهيم، إذ ليس هناك معجزة أعظم من نار تبقى برداً وسلاماً على إنسان يصلي ويأكل ويشرب وينام.

أدرك النمرود أن هذا العقاب قد ينقلب عليه، إذ صار هناك من يهتف باسم إبراهيم، وهناك من يؤمن بربه. فحاول حيلة أخرى ليردّ إبراهيم عن عبادة الله ويدعوه لعبادته هو. فجاء بإبراهيم أمام الناس وناظره بعد خروجه من النار، وقال له: «ماذا يفعل ربك مما لا أستطيع فعله؟» فقال إبراهيم: «إن الله يُحيي ويميت.» فقال النمرود: «أنا أُحيي وأُميت.» فأحضر اثنين من المحكوم عليهم؛ فأعدم أحدهما وأطلق سراح الآخر.

أراد سيدنا إبراهيم أن يثقل حجته، فقال: «فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب.» فسكت النمرود، لكن سكوته لم يكن علامة على اقتناعه أو إيمانه، بل زاده تجبّراً وطغياناً على من آمنوا معه، ووقف بين الناس وقال: «أنا ربكم الأعلى.»

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

حينها قام النمرود ببناء برج بابل ليصل إلى السماء ويمتلك زمامها، معتقداً أنه سيصل إلى حيث يوجد رب إبراهيم. وكان يجمع الناس ويعطيهم المؤن والطعام بشرط أن تقول الرعية قبل استلام الطعام: «أنت ربنا الأعلى». ومن لا يقول ذلك، كإبراهيم عليه السلام ومن آمن معه، لم يُعطَ طعاماً.

ولما خرج سيدنا إبراهيم من عنده دون طعام، احتار كيف سيواجه السيدة سارة خالي اليدين. فجمع حفنة تراب في جراب إشفاقاً من الدخول عليها فارغ اليدين. وعندما وضع الجراب ونام، وجد عند استيقاظه أن حفنة التراب قد تحولت إلى طعام بفضل الله، الذي عنده الخير الكثير.

وبعد أن بلغ طغيان النمرود وتجبّره على المؤمنين ذروته، قرر تحدي أهل السماء بجيش من جنوده. وخرج النمرود بجيشه في الصباح منتظراً جيشاً من السماء، لكن الجيش الذي أرسله الله كان مختلفاً؛ إذ كان جيشاً من البعوض الذي أكل لحوم جنوده. أما النمرود، فقد استطاع حماية جسده منهم، إلا أن بعوضة واحدة دخلت من أنفه إلى دماغه، وعاشت فيه مدة ٤٠٠ سنة، يضرب نفسه بالمطارق ويطلب من حوله أن يضربوه بالمطارق حتى مات.

وكانت نهاية جبروت النمرود على يد بعوضة لم يلقِ لها بالاً، أفلا يعتبر من يأتي بعده؟

قصة النمرود من القصص التي وردت في سياق الحديث عن نبي الله إبراهيم عليه السلام، وقد جاءت الإشارة إلى هذا الملك الجبار في القرآن الكريم، لكن دون ذكر اسمه أو تفاصيل كثيرة عن حياته. أغلب التفاصيل المتعلقة بالنمرود جاءت من الإسرائيليات والتفاسير

الإشارة إلى شخصية النمرود تأتي في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ [البقرة:٢٥٨]

الآية تتحدث عن ملك جبار حاجَّ إبراهيم عليه السلام في الإيمان بالله، لكن لم يُذكر اسم الملك صراحةً.

الإسرائيليات في قصة النمرود:

التفاصيل الإضافية عن النمرود جاءت من روايات إسرائيلية وتفاسير متأثرة بها، ومنها:

١. اسم النمرود:

لم يُذكر في القرآن أو السنة، لكن الروايات الإسرائيلية والتاريخية تشير إلى أنه «النمرود بن كنعان»، وكان ملكًا في بابل.

٢. محاجته لإبراهيم عليه السلام:

الرواية القرآنية تذكر المحاجة بين إبراهيم والنمرود، حيث حاول النمرود مجاراة حجة إبراهيم بإحيائه وقتله

لبعض السجناء، ثم عجز عن مجاراة تحدي إبراهيم بشأن الشمس.

٣. قصة موت النمرود:

من الإسرائيليات أن الله أرسل للنمرود جيشًا من البعوض عذّبه، حتى دخلت بعوضة في أنفه أو أذنه، فكانت تؤذيه حتى مات فلم تذكر في القرآن.

٤. علاقة النمرود ببناء برج بابل:

بعض الروايات تربط بين النمرود ومحاولة بناء برج بابل، وهو مشروع ضخم حاول فيه النمرود التمرد على الله.

نقد الإسرائيليات في قصة النمرود

غياب السند الشرعي:

لم ترد هذه التفاصيل في القرآن أو السنة، ولذلك تُعتبر من الإسرائيليات.

وقصة النمرود تحتوي على عناصر مأخوذة من الإسرائيليات، وبعضها يعزز فهم الرواية القرآنية، لكنها لا تُعدّ نصوصًا قطعية. المسلمون يأخذون منها بحذر، ويُقبل ما وافق الوحي الإسلامي ويُترك ما تعارض معه.

٧

هاروت وماروت

اكتشفت من خلال بحثي في موضوع الإسرائيليات أن العديد من الروايات التي صنفها العلماء بأنها موضوعة، إذا تدبرنا معانيها بعمق، سنجد أن العقل سيرفضها ولا يقبلها. ومن أكثر القصص التي ورد فيها آثار إسرائيلية مشوهة لا يقبلها العقل هي قصة هاروت وماروت. دعونا نعرض أولاً القصة المتداولة عن هاروت وماروت، ثم نناقش مواطن الخلل فيها لنفهم مغزى التشويه عندما نعرف القصة الحقيقية.

فقد ذكر السيوطي في كتابه ما رواه ابن جرير والمحكم وصححه.

أنه بعد وفاة رسول الله ﷺ، قدمت إلى السيدة عائشة امرأة من منطقة تُدعى دومة الجندل، كانت المرأة لا تعلم أن رسول الله انتقل إلى الرفيق الأعلى، فحزنت حزناً شديداً وقالت للسيدة عائشة: «أخاف أنني هلكت.» استفسرت السيدة عائشة عن سبب قولها، فبدأت المرأة تروي ما حدث معها.

فقد كان زوجها قد سافر وطال غيابه، فاشتاقت إليه و ذات يوم زارتها عجوز وقد أشفقت على حالها، وعرضت عليها تعلّم السحر الذي سيمكنها من رؤية زوجها ومعرفة مكانه. فرحت المرأة كثيراً ووافقت، وحاولت إقناع نفسها أن ما ستقوم به لن يضر أحداً، وأنها ستستخدم السحر فقط لمصلحتها الشخصية.

ثم جاءت العجوز بكلبين كبيرين أسودين، وركبت العجوز على أحدهما والمرأة على الآخر، وانطلقتا حتى وصلتا إلى كهف في مدينة بابل. كان كل شيء في ذلك الكهف عجيباً وأساطيرياً، ما أصاب المرأة بحالة من الذهول. هناك، وجدت رجلين معلقين من أرجلهما، فسألاها: «ماذا تريدين؟» أجابت: «أريد أن أتعلم السحر.» فحذراها وقالا لها: «إنا فتنة، فلا تكفري وارجعي إلى بلدك.» لكنها أصرت على تعلم السحر.

هل فعلا هذان الرجلان هما هاروت وماروت؟

تقول الرواية إنهما هم وكانا في كهف في بابل، وعندما أصرت المرأة على تعلم السحر، طلبا منها الذهاب إلى مكان معين في الكهف والقيام بأمر معين. فذهبت المرأة إلى ذلك المكان، وخافت من القيام به، لكنها عادت وأخبرتهما بأنها فعلت ما أمروا به.

وعندما سألها الرجلان عما رأت، أجابت بأنها لم ترَ شيئاً. فطلبا منها العودة إلى بلدها والاستغفار. لكنها أصرت مرة أخرى على تعلم السحر، ففعلت كما طلبا منها، وعادت إليهما لتخبرهما بأنها رأت فرسًا مقنعًا بالحديد يخرج من جسدها ثم يطير. فقالا لها: «لقد فارقك إيمانك.»

بعد تعلمها السحر، أصبحت قادرة على أن تأمر أي شيء ليطيعها. وعندما أدركت عواقب ما فعلت ولم تتمكن من رؤية زوجها، عادت للتوبة على يد رسول الله ﷺ.

لكن هذه القصة حدثت بعد وفاة النبي ﷺ، ما يعني أن هاروت وماروت كانا قد عاشا في زمن بعيد عن تلك الحادثة. فهل مازالا موجودين في الكهف؟ وهل عوقبا بالفعل في الدنيا؟

لوحظ أن جميع الروايات التي تناولت هذا الموضوع تروى عن رواة عدول مثل ابن عباس، ابن عمر، وابن مسعود، لكن في نهاية الإسناد نجد اسم «كعب الأحبار».

وكان كعب الأحبار يهودياً وأسلم، لكنه خلط بين المرويات اليهودية وأحاديث رسول الله ﷺ، مما أدى إلى ضعف روايته وتحويرها. وقد تم ذكر هذه الروايات في كتب التفسير مع التنبيه على أنها إسرائيليات.

أما عن هاروت وماروت، فقد ورد في القرآن الكريم في سورة البقرة: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا

كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٠٢].

نزلت هذه الآية عندما جاء وفد من اليهود إلى سيدنا محمد ﷺ يسألونه عن بعض الآيات الواردة في التوراة، إما من باب تعجيز رسول الله أو لتأكيد صحة معتقداتهم.

ومن المعروف لديهم أن سيدنا سليمان عليه السلام ليس نبياً كما نؤمن نحن، بل هو في أعينهم ساحراً قد أُعطي ما لم يُعطَ أحد من العالمين من السحر، وليس من النبوة.

ولشرح سبب هذا الاعتقاد، لابد من العودة إلى زمن سيدنا سليمان عليه السلام. في ذلك الوقت، كانت الشياطين لا تزال تسترق السمع من السماء وتتجسس على أخبار الناس والمستقبل، ثم تضاف إليها الأكاذيب من عندهم وتلقى للكهنة والسحرة، وكان السحرة يكتبون هذه الأكاذيب في كتب لحفظها وتداولها بين الناس.

وقد كانت هذه الكتب تختم باسم آصف بن برخيا، الذي كان وزير سيدنا سليمان عليه السلام، وأي كلمة تصدر عن

آصف كانت تُعتبر وكأنها صدرت عن سيدنا سليمان نفسه، لذا كان الناس يعتقدون أن تلك الكتب قد صدرت عن نبي الله سليمان. ومع انتشار هذه الأكاذيب، بدأ السحر الأسود يتفشى، واعتقد الناس أن تسخير الجن والإنس والطير والريح الذي حدث مع سليمان كان نتيجة للسحر، وليس من خلال النبوة.

فأراد الله أن يبين للناس الفرق بين السحر والنبوة، فأنزل الملكين هاروت وماروت ليتبرأ نبينا سليمان من هذه التهمة، وأكدت الآية أن هذين الملكين لم يعلما أحداً السحر، وإنما كانا يقولان للناس: «إنما نحن فتنة، فلا تكفروا.»

هذه هي القصة الحقيقية للملكين هاروت وماروت. ويبدو أن الفرق واضح جداً بين ادعاءات اليهود وأكاذيبهم على أنبياء الله، وبين التفسير الصحيح للقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٨

قوم لوط

أربعمائة ألف شخص يعيشون في سبع مدن، وحين تشرق عليهم الشمس، يجدون أنفسهم محمولين على جناح جبريل عليه السلام. اقتلع جبريل تلك المدن من جذورها، بما فيها أراضيها وبناياتها وأنديتها، وحتى إنسها وجنها وحيواناتها، ليعلقها جميعًا في السماء على جناحه.

بدأوا في الصراخ، وحيواناتهم في الصياح، ولكن السهم قد نفذ، وحل عليهم العذاب. بدأ جبريل في تقليبهم في الهواء حتى أصبحت عاليها سافلها.

تخيلوا الرعب الذي شعر به هؤلاء الناس وهم يسقطون من السماء! ولكن الأمر لم يقتصر على ذلك، فقد أرسل الله عليهم حجارة من سجيل، كور من نار، وكل حجر كان مكتوبًا عليه اسم من سيصيبهم، أي أن كل حجر جاء خصيصًا لكل شخص.

كان العذاب شديدًا إلى درجة أن من يكتفي بالمشاهدة عن بُعد يعاقب بعذاب مشابه لعذابهم. حتى مجرد النظر من بعيد كان له عقاب.

ماذا فعل هؤلاء الناس حتى يستحقوا هذا العذاب؟

كانوا في الحقيقة عصاة مخالفين لأوامر الله، يسعون لتغيير قوانين الطبيعة ويتبعون طريق الحرية الشخصية.

كيف هذا؟

الكون الذي نعيش فيه لم يُخلق عبثًا كما يزعم الملاحدة، وليس كل شيء جاء بالصدفة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

ماذا يعني هذا؟ وما علاقته بهؤلاء الناس؟

عندما خلق الله الأرض وخلق عليها الإنسان، لم يخلقه ليعيش عبثًا. فالغرض من خلق الإنسان ليس مجرد الحياة والتسلية، بل أن الإنسان خلق ليعمر الأرض ويعبد الله.

الهدف الرئيس من خلق البشر هو الاستعمار والاستخلاف على الأرض والعبادة.

عندما هبط سيدنا آدم إلى الأرض، كان الهدف أن يعمرها، ولكن لكي يعمرها لابد من الزيادة في العدد، ولذا هبط سيدنا آدم مع حواء لأن هذه هي طبيعة الكون: رجل + امرأة = طفل جديد.

لكن هؤلاء القوم حاولوا تغيير هذه الطبيعة، وكانوا يرغبون في مخالفة هذا النظام الكوني.

لنذكر الآن قانونًا بسيطًا يتعلمه الأطفال في المدارس من الصفوف الابتدائية: قانون التجاذب والتنافر.

هـذا القانـون ينـص عـلى أنـه إذا أخـذت قطبـين مغناطيسـيين مختلفـين (موجـب وسـالب) واقتربـا، سـيحدث تفاعـل بينهـم ويولـد تيـارًا كهربائيًـا.

أمـا إذا اقتربـت قطبـين متشـابهين (موجـب مـع موجـب أو سـالب مـع سـالب)، فلـن يحـدث أي تفاعـل، بـل سـيتنافران.

مثـل هـذا التفاعـل بـين ذكـر وأنثـى ينتـج عنـه الحـب الشرعـي الـذي يـؤدي إلى تكويـن الأطفـال، وهـي الطبيعـة الكونيـة الثابتـة.

أمـا إذا كان التفاعـل بـين رجـل مـع رجـل أو امـرأة مـع امـرأة، فـإن ذلـك خـرق لقوانـين الطبيعـة، لأن ذلـك لا ينتـج أي تفاعـل طبيعـي.

هـل مـن الممكـن أن يكـون ذلـك مرضًـا أو مشـكلة صحيـة تسـتوجب العـلاج؟ بحـث العلـماء في هـذا الموضـوع لسـنوات ولم يجـدوا أي تفسـير جينـي أو هرمـوني لهـذه الظاهـرة سـوى تفسـير واحـد...

البيئـة المحيطـة والأمـراض النفسـية تسـهم في زيـادة الرغبـة في الشـهوات، وكلـما أصبـح المجتمـع أكثـر انفتاحًـا عـلى الأفـكار الحـرة، تـزداد هـذه الظاهـرة. يقـول البعـض: «اتـرك عقلـك عـن التفكـير القديـم، دع الخلـق للخالـق»، ممـا يزيـد مـن انتشـار هـذه الظاهـرة، ومـع زيادتهـا تنتـشر الأمـراض لأن أي خـرق لقوانـين الطبيعـة يـؤدي إلى اختـلال في توازنهـا، ممـا يسـبب الأمـراض

والأوبئة مثل إزالة الأشجار، وتهجين الحيوانات، وتخليق الميكروبات والفيروسات.

والجدير بالذكر أن من بين الـ ٤٠٠ ألف الذين خسف بهم الأرض كان منهم من يقول كما تقول أنت (دع الخلق للخالق)، ولكنني أود أن أركز على السبب الرئيسي للمشكلة، وهو أننا نغفل دائمًا عن قول الشيطان: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ الأعراف: ١٦].

قد تقول إن هذه الظاهرة موجودة في المجتمعات غير المسلمة، ولكن دعني أسألك: منذ متى لم نأخذ تلك المجتمعات كمثال للتحضر والتميز، ونسعى لتقليدهم في كل شيء؟!

اللعبة تكمن في أن يتم تصوير الموضوع على أنه أمر عادي ومسموح به، ويبدأ ذلك بالتوغل في عقول أطفالنا من خلال مشاهد نتركهم أمامها لساعات.

إذن، قانون الاعتياد هو الآفة الأخطر على عقيدتنا.

لقد تعودنا على رؤية الخطأ دون أن نتكلم، وتعودنا على كثير من المحرمات التي أصبحت جزءًا من تقاليدنا بسبب الاعتياد.

هل تعلمون أن هؤلاء الذين شوهوا صورة قوس قزح الذي لطالما اعتبرناه إبداعًا من إبداعات الخالق، فعلوا ذلك لتبرير صحة عقيدتهم؟!

هـذه هـي حيـل الشـيطان، هـذه هـي ألاعيبـه التـي تهـدف إلى إيقـاف نسـل آدم، فكلـما زاد هـذا النسـل زادت مسـؤولية العصيـان عليهـم.

لكـن هـذه كلهـا أسـاليب مـن أسـاليب الشـيطان، وهـي الإيهـام؛ أي أن يوهمـك بـشيء لم يحـدث، أو يشـعرك بشـعور غـير حقيقـي، ويظـن الشـخص أنـه في متعـة بينـما هـو في الحقيقـة في عـذاب.

هذا هو الموضوع ببساطة.

وبعـد هـذه المقدمـة الطويلـة، دعـوني أقـص عليكـم قصـة هـؤلاء القـوم الذيـن ذكرتهـم أعـلاه.

قديـمًا، في بلـد تدعـى «سـدوم»، وهـي تقـع عـلى شـاطئ البحـر الميـت في الأردن، كان أهـل سـدوم مـن أكثـر النـاس خبثًـا وفسـادًا، يتلـذذون بالمعـاصي والذنـوب، يكرهـون الضيـوف، ويقتلـون عابـري السـبيل. بـل ابتكـروا طريقـة جديـدة لمخالفـة طبيعـة الكـون، وهـي إتيـان الرجـال مـن دون النسـاء.

لكن الله لا يرسل العذاب إلا بعد أن يرسل الإنذار.

فأرسـل الله إليهـم نبيـه لـوط ﷺ، وكان ابـن أخـي إبراهيـم الخليـل ﷺ. جُعلـت مهمتـه نصـح قومـه والابتعـاد بهـم عـن طريـق الغـي والضـلال، لكنهـم كانـوا قـد طمـس الله عـلى بصيرتهـم حتـى أنهـم كانـوا عـلى وشـك طـرد لـوط ومـن معـه بسـبب أمـر بديهـي مـن وجهـة نظرهـم: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ

﴿قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

تخيلوا أن سبب طردهم من بلدهم هو أنهم طاهرون.

استمر قوم سدوم في كراهيتهم للضيوف، وخاصة الرجال. في أحد الأيام، التقت ابنة لوط بأشخاص غرباء على نهر سدوم، وكانوا في غاية الجمال، وطلبوا منها أن تستضيفهم. حذرت الفتاة الضيوف من الدخول إلى المدينة، وأخبرت والدها بذلك.

عندما رأى لوط عليه السلام هؤلاء الضيوف، شعر أن هذا اليوم لن يمر بسلام. حاول أن يثنيهم عن الدخول، لكنهم أصروا، وكانوا في مهمة محددة يجب أن يؤدوها.

دخلوا بيت لوط في الليل، والذي أخبر أهل بيته أن يخفوا أمر الضيوف عن الجميع، لكن زوجته، التي كانت تحب قومها، أفشت السر، فاجتمع القوم أمام بيت لوط مطالبين بتسليم الضيوف.

فخرج لهم لوط عليه السلام وقال: ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٦٧ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ٦٨ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ﴾ [الحِجر:٦٧: ٦٩]، ووجه رغباتهم إلى مسارها الصحيح حين يتزوجن من بناته والمقصود هنا هم نساء الأمة لأن النبي بمثابة الأب. ولكنهم رفضوا

قالوا: ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود:٧٩].

عندما عجز لوط عليه السلام عن تغيير تفكيرهم، شعر بالعجز وقال: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

ثم كشف الملائكة عن هويتهم وأخبروا لوط أنه لا داعي للقلق، فقد أرسلوا للقيام بالعذاب وإنقاذ لوط وأهله. قالوا له: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [هود: ٨١].

فخرج جبريل عليه السلام على القوم وضربهم جناحه، فأصابهم بالعمى، وقال لهم: ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٧].

ثم أمر لوط أن يخرج بأهله في قطع الليل ولا يلتفتوا لما يسمعوا من عذاب قومهم.

حتى زوجة لوط، التي كانت قد خرجت معهم، يقال إنها التفتت عندما سمعت العذاب، فكان نصيبها مثل نصيب قومها.

وفي الصباح، خسف بهم الأرض وأصبح البحر الذي كان في مكانهم بحيرة نتنة.

تخيلوا العذاب الذي وقع عليهم بسبب تمسكهم بحرية شخصية مخالفة للطبيعة.

دعونا نذكر هنا قانونًا بسيطًا: «أنت حر ما لم تضر».

إن هـذا الفعـل الـذي يتبعونـه يضرهـم ويـضر مـن حولهـم، لأن العـذاب لـن ينـزل عليهـم وحدهـم، بـل سيشـمل كل مـن حولهـم الذيـن سـكتوا ولم يتكلمـوا.

منـذ ذلـك الحـين، أصبـح هـذا الفعـل منكـرًا ويُـمارس في الخفـاء، وعندمـا سـكت الكثـيرون عنـه، اسـتمروا في التـمادي حتـى وصلنـا لمـا يحـدث اليـوم.

إن المجتمعـات المدعيـة للحريـة تسـعى إلى غرس هـذه العقيدة الفاسـدة في عقـول أطفالنـا، لأسـباب سياسـية واقتصاديـة، لأنهـا تـرى أن الأمـة التـي تتمسـك بعقيدتهـا سـتكون القـوة الوحيـدة التي سـتصمد.

ومـع ذلك، أُضيفت روايات إسرائيلية لتفاصيل القصة، ومنها:

١. تفاصيل خطايا قوم لوط:

الروايـات الإسرائيليـة توسـعت في وصـف أفعـال قـوم لـوط بشـكل تفصيـلي، وذكـرت تفاصيـل قـد تكـون مبالغًـا فيهـا أو غـير واردة في النـص القـرآني، مثـل أنـواع معينـة مـن الجرائـم أو تفاصيـل حياتهـم اليوميـة.

٢. ذكر أوصاف الملائكة:

ذكـرت بعـض الإسرائيليـات أن الملائكـة الذيـن زاروا لـوط كانـوا في هيئـة شـبان ذوي جمـال باهـر، وأن هـذا الجـمال كان سـببًا مبـاشرًا لمحاولـة قومـه اقتحـام بيـت لـوط.

٣. التفاصيل المتعلقة بزوجة لوط:

الروايات الإسرائيلية أضافت تفاصيل حول خيانة زوجة لوط، مثل دورها في التبليغ عن وجود الضيوف وإرشاد قومها إلى منزل لوط، وهي أمور لا تُذكر بهذا التفصيل في النص القرآني.

٤. كيفية عذاب قوم لوط:

في القرآن، عُذب قوم لوط بقلب قريتهم رأسًا على عقب، ورجمهم بحجارة من سجيل. أما الإسرائيليات، فأضافت تفاصيل مثل أوصاف الحجارة أو كيفية رفع القرية إلى السماء وإلقائها.

٩

بقرة بني اسرائيل

عجوز من بني إسرائيل وافته المنية، وكان لا يملك من الدنيا سوى زوجته وابنه وبقرة، وهذه كانت إرثه الوحيد وكان من الصالحين، يتقي الله ويحرص على رزقه الحلال، ويطيع ربه ويتبع تعليمات نبيه. كما تعلمون، فإن بني إسرائيل هم أكثر الأقوام الذين أرسل الله فيهم رسلاً وأنبياء، حتى يُقال إن كل الأنبياء كانوا من بني إسرائيل إلا عشرة. وكانت هذه القصة في زمن سيدنا موسى عليه السلام.

هذا العبد الصالح، حين شعر بقرب أجله، نظر إلى زوجته وابنه وبقرته، ولم يجد حوله من يثق به ليستودعهم، فأطلق البقرة وقال: «اللهم إني أستودعك هذه البقرة لولدي». أطلقها في البرية ولم يربطها، وكانت ليست كأي بقرة، بل كانت بقرة غاية في الجمال والنفع والعزة، وكانت مميزة حقًا. تخيلوا الثقة واليقين في الله.

ظلت البقرة في البرية ترعى من حشيش الأرض، ولا يتمكن أحد من اعتراضها أو سرقتها، فقد خُلِقَت لأمر

عظيم، وكانت تسير في سبيل الله، تأبى أن تخضع لأحد غير صاحبها. مات الرجل، وقبل وفاته أخبر زوجته بما فعل مع البقرة، وأنه قد أطلقها واستودعها الله لابنه، فقبلت زوجته وأمرها لله.

ثم حدث ما قدره الله لها ولهم. وجدوا جثة لرجل في إحدى أسباط بني إسرائيل، وبعد التحري، تبين أنه من سبط آخر، فتقاتل السبطان، كل منهما يلقي التهمة على الآخر. وكان هذا الرجل ثريًا من أثرياء بني إسرائيل ولم يمتلك ولداً. فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٧٢].

ذهب ابن أخيه إلى رسول الله موسى عليه السلام يطالب بحقه ومعرفة من قتله. فانتظر موسى عليه السلام حتى جاء الأمر من الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧].

تعجبوا من هذا القول، قائلين: «أي بقرة تتحدث عنها؟ نحن نتحدث عن قتل ودماء مسفوكة، وأنت تطلب منا ذبح بقرة؟ أتهزأ بنا يا موسى؟!»

وجادلوا كما اعتادوا، ولم ينفذوا أمر الله. وتساءلوا: «أي بقرة نذبح؟ لدينا الكثير من البقر.» فقال لهم موسى: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾[البقرة:٦٨]

لكنهم لم يقتنعوا واستمروا في اعتراضاتهم، فسألوه: «ادعُ لنا ربك ليُبيّن لنا لونها». فأجابهم موسى:
﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البقرة:٦٩]

ولكنهم لم يكتفوا بذلك، وسألوا مجددًا: «ادعُ لنا ربك يُبيّن لنا ما هي، فإن البقر تشابه علينا». فأجابهم موسى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة:٧١]. فقالوا: ﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾.

تعقدت الأمور بالنسبة لهم، فلم يكن من السهل العثور على بقرة بهذه المواصفات؛ لكن مشيئة الله أن يجدوا البقرة بعد جهد مضنٍ، في أحد أسباط بني إسرائيل، في سبط الرجل الصالح الذي توفي وأودع الله أمانة لابنه، وكانت البقرة التي أطلقها في البرية قد عادت إلى الولد بعد سنوات.

فاوض بني إسرائيل الولد ليبيعهم البقرة بثمن زهيد. سأل الولد أمه، وفي كل مرة كانت ترفض وتطلب الزيادة. وأخيرًا، عرضوا عليها وزن البقرة ذهبًا، لكنها رفضت وظلت تطلب الزيادة حتى عرضوا عليها عشرة أضعاف وزنها ذهبًا، وعندها وافقت وبيعت البقرة.

ثم عاد بنو إسرائيل إلى نبي الله موسى بالبقرة، فأمرهم بذبحها. ولكنهم لم يمتثلوا لأمر الله بصدق، بل فعلوا ذلك ليدرأوا التهمة عن كل سبط. فأخرج موسى من البقرة

عظمة وضرب بها المقتول. فحدثت معجزة الله، حيث أحيى المقتول وأشار إلى قاتله، ثم عاد إلى موته امتثالًا لأمر الله.

وقف القاتل متعجبًا مما حدث، ولم يتخيل يومًا أن مثل هذه المعجزة ستحدث، ولكنها قدرة الله وحكمته بين عباده. فقال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٣].

١٠

أصحاب الرس

تعددت الآلهة التي عبدها القوم المشركون عبر التاريخ، فمنهم من عبدوا الشمس والقمر، ومنهم من عبدوا العجل، ومنهم من عبدوا الحجارة والأصنام. ولكن هل سمعتم عن قوم عبدوا الشجرة؟ كيف لا يعبدونها وقد تكلمت وأفصحت عن رضاها عنهم؟!

وهذا كان شكلاً آخر من أشكال الضلال التي ذكرها الله في القرآن الكريم.

نعم، لم يتم ذكرها بشكل صريح، ولكن القرآن الكريم أشار إلى هؤلاء في سياق الحديث عن «أصحاب الرس». فمن هم هؤلاء أصحاب الرس؟

لقد اجتهد العلماء في تعريفهم وتحديد مكانهم. وقد قال ابن عباس إنهم كانوا أهل قرية من قرى ثمود.

لكن ما هي قصتهم؟

قبل أن نذكر قصتهم، دعونا نتذكر أمرًا مهمًا في تفسير القصص القرآني؛ عند تفسير القصص التي ذُكرت بشكل

مجمل في القرآن، يجب الرجوع إلى السنة النبوية الشريفة، فهل ذكرها رسول الله ﷺ في أحاديثه أم لا؟ وإذا لم توجد أحاديث صحيحة حولها، نرجع إلى آثار الصحابة والتابعين.

وقصة أصحاب الرس هي إحدى القصص المجملة في القرآن الكريم، فقد وردت في موضعين:

- **الأول في قوله تعالى:**

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَالَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا﴾ [الفرقان:٣٨: ٣٩].

- **والثاني في موضع آخر: في سورة ق:**

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾[ق: ١٢: ١٤].

في الآيتين الكريمتين، اجتمع أصحاب الرس مع القوم الذين هلكوا جميعهم بعذاب من الله بعد تكذيبهم للرسل. هذا هو مجمل كلام الله عنهم.

عند بحث المفسرين في السيرة، وجدوا حديثًا يذكر فيه رسول الله قصة عبد أسود سيكون أول من يدخل الجنة يوم القيامة. فما قصة هذا العبد؟[1]

في إحدى قرى ثمود، بعث الله نبيًا إلى أهل هذه القرية، ولكن لم يؤمن به سوى هذا العبد الأسود. وقد حاول

(١) جامع البيان للطبري

القـوم التخلـص مـن النبـي، فحفـروا لـه بئـرًا وألقـوه فيهـا ثـم أغلقـوا عليهـا بحجـر صلـب.

كان هـذا العبـد يذهـب لجمـع الحطـب ويحملـه عـلى ظهـره ليبيعـه في السـوق، ثـم يشـتري طعامًـا وشرابًـا للنبـي، ويصعـد إلى البئـر ليرفـع الصخـرة ويـدلي لـه بالطعـام والـشراب.

واسـتمر هـذا الحـال حتـى جـاء يـومٌ تعـب فيـه العبـد بعـد جمعـه الحطـب، فنـام ومـر عليـه سـبع سـنين، ثـم اسـتيقظ فشـعر وكأنـما نـام سـاعة. وعندمـا ذهـب إلى السـوق، وجـد أن حالـه قـد تغـير، ونظـرة النـاس إليـه اختلفـت. بـاع الحطـب، واشـترى طعامًـا ثـم ذهـب مسرعًـا إلى البئـر، لكنـه لم يجـد نبيـه.

هـرع إلى النـاس يسـأل عـن نبيهـم، فأخـبروه أنـه قـد مـات بعدمـا أخرجـه القـوم وآمنـوا بـه، وأخـبروه إن النبـي قـد سـأل عنـك، لكنهـم لم يعرفـوا شـيئًا عنـه. لكـن الروايـة تختلـف عـن النـص القـرآني الـذي يذكـر أن أصحـاب الـرس هلكـوا جميعًـا.

أمـا عـن نبيهـم الـذي بعـث إليهـم، فقـد قيـل إنـه شـعيب، ولكـن أكثرهـم أجمـع عـلى أنـه حنظلـة بـن أبي صفـوان، نبـي لم يُذكـر اسـمه في القـرآن.

وحسـب الروايـة، كان لأصحـاب الـرس بئـر واحـدة ترويهـم وتكفـي أراضيهـم، وكان لهـم ملـك عـادل حسـن السـيرة، فلـما مـات حزنـت عليـه النـاس. وبعـد أيـام، ظهـر لهـم الشـيطان في صـورة الملـك وأوهمهـم بأنـه لم يمـت، بـل غـاب ليختبرهـم.

ففرحوا بذلك وأمرهم أن يضربوا حجابًا بينه وبينهم، وأخبرهم أنه لا يموت أبدا. فصدق به أغلبهم وعبدوه.

بعث الله نبيًا فيهم، فأنذرهم من عبادة الشيطان وأمرهم بعبادة الله وحده. فقتلوا النبي وألقوه في البئر، فغارت البئر وجف ماؤها، وذبُل الزرع وتقطعت ثمارهم، وحدثت فتن في الأرض، حتى هلكوا جميعًا وسكن في ديارهم الجن والوحوش، فلا يسمع في المنطقة إلا عزيف الجن وزئير الأسود وصوت الضباع.

أما الرواية الأخرى الأكثر شهرة، فقد ذكر ابن عباس أنها كانت قرية من قرى ثمود التي رزقها الله بوفرة في الرزق وأرض خصبة، وكان عندهم شجرة صنوبر زرعها يافث بن نوح على ضفة عين أخرجها الله لنوح بعد الطوفان، فصارت مصدر حياة لهم. وكان أصحاب الرس يعيشون في اثني عشر مدينة على طول نهر سمي نهر الرس.

وقد زرعوا بذور الشجرة في كل مدينة، وكانوا يقدسون هذه الشجرة ويعبدونها. خصصوا يومًا لكل شجرة من الأشجار الإثني عشر، وكانوا يلبسونها حريرًا ويقدمون لها قرابين من الأغنام والبقر.

وكانوا يقيمون احتفالات مع قدوم يوم عيد الشجرة الأم، وهي الشجرة الأولى. كان الجميع يجتمع حولها، ويشعلون النيران في القرابين، ويعبّر الشيطان عن رضاه

عنهم، فيحتفلون بالغناء والرقص، ولكن هذا الفساد استمر حتى بعث الله فيهم نبيًا ليخبرهم بأن ما يتحدث إليهم ليس الشجرة، بل الشيطان الذي يخدعهم. لكنهم كذبوه، فدعا النبي الله أن ييبس شجرهم، فاستفاقوا ليجدوا الأشجار جافة، حتى الشجرة الأم.

لم يؤمنوا، بل انقسموا قسمين، أحدهم قال إن النبي سحر الأشجار، والآخر قال إن الآلهة غضبت. فحفروا بئرًا ضيقة وألقوا النبي فيها، ثم أغلقوا عليه بصخرة كبيرة. وأخذ النبي يناجي ربه متضرعًا، حتى قبضت روحه بعد يوم واحد.

وبالتأكيد ظنوا أنهم انتصروا عليه وأرضوا الآلهة بموته ، وفرحوا وأقاموا المعازف ولكن عقاب الله أتى عليهم .

أرسل الله عليهم ريحًا عاصفًا شديد الحمرة أنزلت الرعب في قلوب القوم وأصبحت الأرض تحت أقدامهم كحجر الكبريت المتقد ولم ينتهي الأمر على هذا؛ بل ظهرت سحابة سوداء ترسل عليهم جمرا متقدا فأحرقت الأرض سكانها فكانوا يذوبون كما يذوب الرصاص في النار فجعلهم الله عبرة لكل من ضل وكفر وتكبر واتبع شيطانه .

ومن الروايات السابقة لا نستطيع أن نصدق إلا أن هؤلاء القوم طغوا وتكبروا وكذبوا رسولهم فأخذهم الله بالعذاب الأليم .

كما قال في كتابة المبين:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق:١٢: ١٤]

١١

أصحاب السبت

أخبرنا القرآن الكريم بالعديد من القصص عن بني إسرائيل مع أنبيائهم، وكيف كانوا قومًا كثيري الجدال والعناد، وكفروا وظلموا في كثير من الأحيان، حتى أن الله ﷻ حذرهم، فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩] . وقد تحدوا الله ورسله في العديد من المواقف، فكان جزاؤهم شديدًا. وهذه القصة كانت في عهد سيدنا داوود عليه السلام.

في قرية ساحلية بالقرب من البحر الأحمر، التي لم يُذكر اسمها في القرآن الكريم، ولكن ذكرها بعض المفسرين وقالوا إن اسمها «إيلا» أو ربما كانت «مدين». كان أهل هذه القرية من بني إسرائيل، وكانوا من الصيادين. وقد أمرهم الله بالصيد طوال أيام الأسبوع، إلا يوم السبت فقد حرمه عليهم، لأنه كان يوم عبادتهم.

كانوا قد اختاروا يوم السبت ليكون يوم عبادة لله، لا يفعلون فيه شيئًا سوى التوجه إلى الله وعبادته، تاركين

مشاغل الدنيا ومتاعها. وقد اختار لهم نبي الله موسى ﷺ يوم الجمعة، وذكر لهم فضله وميزاته، وأنه أحب الأيام إلى الله. لكنهم اعترضوا وقالوا: «يا موسى كيف تقول إن يوم الجمعة هو أفضل الأيام؟! الله ﷻ خلق الأرض والسماء والأرزاق في ستة أيام، ثم استوى على العرش في اليوم السابع، فبالتأكيد السبت هو أفضل الأيام».

فأوحى الله إلى موسى أن يترك لهم يوم السبت لعلهم يلتزمون به. فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[النحل:١٢٤]. اختاروا السبت ليتفرغوا فيه لعبادة الله، وأصبح يومهم المفضل.

لكن أراد الله أن يختبرهم ليعلم مدى إخلاصهم وإيمانهم، فابتلاهم بما يحبون. كان البحر يمتلئ بالحيتان يوم السبت، حتى أن الحيتان كانت تظهر على الشاطئ، خلافًا لبقية الأيام التي لا تظهر فيها هذه الكثرة من الحيتان. فبدأ الأمر يشق عليهم، وزين لهم الشيطان الصيد في يوم السبت. قال الله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ۘ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ﴾[الأعراف:١٦٣]

لكن الفتنة زُينت لهم بالشهوات، خاصة لأولئك الذين كانت قلوبهم ضعيفة. ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥]. لم يستطع أحد مقاومة مشهد الحوت وهو يقترب من الشاطئ في يوم السبت، فربطه بحبل وثبته في الأرض حتى مر السبت، ثم اصطاد الحوت المربوط. تكررت هذه الحيلة في كل مرة كان يذهب فيها الرجل للعبادة يوم السبت بعد أن يربط الحوت.

لكن الناس بدأوا يشكون في أمره، ففاحت رائحة الحوت وعرفوا ما كان يفعله. حاول الرجل إقناعهم بأنه لا يعتبر هذا صيدًا، وأنه يتعبد لله مثلهم ولا ينقصه شيء، فكان العاصي يريد أن يقتدي به الآخرون ليشركوه في ذنوبه.

انقسمت الآراء في تلك القرية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول قال: «نصطاد الشباك يوم الجمعة ونتركها، ثم نعود يوم الأحد لنجمع ما علق بها، وبذلك نكون قد أطعنا الله ولم نضيع الرزق».

القسم الثاني رفض ذلك قائلًا: «لا يجوز مخالفة أوامر الله ورسوله، يجب أن ننهى عن المنكر ونأمر بالطاعة كي لا يحل عذاب الله».

القسم الثالث ظل على الحياد، ورفض تأييد أي من الفريقين، وكانوا يعظون الصالحين ويحذرونهم من مخالطة العاصين.

أخر الله عقابهم، فتنة لهم ولمن في قلوبهم زيغ، وأيضا تأخيرًا للجزاء لكي يتوبوا. ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا

﴿ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف:١٦٥]

ثم جاء اليوم الذي وعدهم الله به، فجن عليهم الليل، وفي الصباح وجد الصالحون أن القرية قد خلت، فذهبوا للاطمئنان، فوجدوا البيوت قد امتلأت بالقردة، وليس بالقرود التي تعيش عادة في المناطق الجبلية، بل غزت المدينة الساحلية. اكتشفوا أن كل من عصى الله قد مُسخ قردًا، حتى أولادهم وزوجاتهم.

وتحقق وعد الله وعقابه، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾[الأعراف:١٦٦]. كانت هذه النهاية العاقبة لمن عصى الله وتحايل على أوامره.

تأخير وقوع العذاب كان زيادة في سيئاتهم، وفتنة لهم ولغيرهم، وربما كان فرصة لهم للتوبة. ومع ذلك، خاف الصالحون من الاقتراب منهم، رغم محاولات القردة الاستغاثة، لكنهم لم يتراجعوا، فقاطعوهم ثلاثة أيام حتى ماتوا جميعًا. وهكذا تحقق وعد الله بعقابه.

ضرب الله مثلًا قاسيًا بأصحاب السبت ليرينا عاقبة العصاة المتحايلين على أوامر الله، ليعلموا أن الحلال وإن قلَّ فهو أطيب من كثرة الحرام المتبوع بالعذاب والغضب من الله.

١٢

قوم سبأ

ما هذا النعيم ؟!

نريد مشقة؟ نريد تعبًا؟

نريد أن نلاقي الشقاء الذي تتحدثون عنه؟

هذه كانت دعوة قومٍ قد منحهم الله ما لم يُعطَ أحدًا من العالمين.

لكنهم، في الواقع، سئموا النعم.

سئموا حياة الرغد والرفاهية.

سئموا الجنات التي بين أيديهم، حتى أن نساءهم لم يكنّ بحاجة لقطف الثمار، فكل ما عليهن هو حمل السلة والسير خلف الأشجار لتسقط الثمار فيها وتملأ السلال.

كانت أرضهم خالية من الحشرات، البراغيث، البعوض، الحيايا، والفئران.

حتى أسفارهم كانت قريبة، فلم يحتاجوا إلى الزاد والدواب، بل كانت جنات عن يمينهم وشمالهم، مليئة بالخيرات.

رزقهم الله بنهرٍ جارٍ بين الجبال، حتى أنهم بنوا سدًا لجمع المياه خلفه، ليزرعوا المزيد من الأشجار.

انظروا إلى جمال وصف الله لهم في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ:١٥]

كان المطلوب منهم أمرًا بسيطًا في مقابل كل هذه النعم التي لا تُعد ولا تُحصى: أن يشكروا الله، ولكن الحقيقة أنهم قالوا شيئًا مختلفًا تمامًا: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ:١٩]

يا رب، اجعل أسفارنا بعيدة، نريد أن نعرف طعم الشقاء والتعب، نريد أن نشعر بالمشقة!

وفي زمن سيدنا سليمان، كانت محبة الله تقرب بين أعظم مملكتين على وجه الأرض، وقرب بينهما الهدهد.

كيف ذلك؟

نعلم جميعًا أن سيدنا سليمان كان يجتمع يوميًا مع أفراد مملكته العظيمة في بيت المقدس ليتفقد أحوالهم، فلاحظ غياب الهدهد.

ونعلم جميعًا أن سيدنا سليمان كان ملكًا على الإنس والجن والطير.

فتعجب من غيابه الطويل وقال: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:٢٠:٢٢]

لكن الهدهد، عندما جاء ورأى غضب سيدنا سليمان عليه، أخبره أنه كان في أرض عجيبة، أرض جميلة، ومملكة عظيمة، والأكثر من ذلك أن من يحكمها امرأة، وكانوا يعبدون الشمس من دون الله.

بالطبع، تعجب سيدنا سليمان وأراد أن يتأكد، فقال: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل:٢٧:٢٨]

ثم أرسل الهدهد برسالة إلى الملكة في تلك المملكة: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:٢٩: ٣١]

كما هي عادة الملوك العظماء، أرسلوا الرسائل قبل أن يهجم عليهم جيش سليمان، وقالت الملكة لقادتها: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل:٣٢ :٣٣]

هل لاحظتم كلمة «ألقي»؟ فبالطبع لا يمكن للهدهد أن يعطي الرسالة مباشرة للملكة بيده.

جمعت ملكة سبأ مستشاريها وقرأت عليهم الرسالة، فقالوا: «لا داعي للقلق، نحن لا نقل شأناً عنهم، فقد كنا نتمتع بالقوة والسلطة رغم النعم التي نعيش فيها».

وكان لديهم قوة سياسية كبيرة، وهذا يتضح من حكمة ملكتهم التي قالت: «إذا دخل الملوك قرية، أفسدوها وجعلوا أعزة قومها أذلة. لكنني لن أرسل لهم جيشًا، بل سأرسل هدية، ولكن هذه الهدية ستكون شيئًا ذا طابع خاص. بعض قالوا إنها أواني من ذهب وزخارف، وبعضهم قال إنها خدم وخادمات».

وقالت: «سنرى ماذا سيفعل بهذا؟» وأيضًا قرروا أن يرسلوا رسلاً للتأكد مما إذا كانت مملكته فعلاً أفضل من مملكتهم، وللتحقق من وضع جيشه وقوته.

لكن سيدنا سليمان لم تأسره هذه الهدايا، فهي لا شيء في مُلكه العظيم، فردّها عليها، فقررت الملكة أن تأتي بنفسها.

وعندما وصلت، أدركت شيئًا عظيمًا عند سيدنا سليمان، فقد وجدت عرشها المرصع بالذهب والياقوت، عرشها الذي لم يكن له مثيل في الأرض وقتها، وهو العرش الذي تركته للتو قبل مجيئها.

فعلمت حينها مدى القوة التي تقف أمامها.

وكان هذا جزءًا من ذكر القرآن، ليقارن بين أقوى مملكتين في تلك الفترة، ويبين مصير مملكة أتاها الله بكل أسباب الإيمان، لكنها جحدت فحق عليها العذاب.

وفي هذا السياق، نقف قليلاً.

لقد بحثت طويلًا عن زمن حادثة سيدنا سليمان، وحاولت ربطه بما سيحدث لمملكة سبأ، وتوصلت إلى أن زمن سيدنا سليمان وبلقيس ملكة سبأ، التي لم يُذكر اسمها في القرآن ولا في الأحاديث ولا في سيرة ملوك اليمن، ومع ذلك أثبت المؤرخون وجود امرأة حكمت قوم سبأ، الذين امتدت حضارتهم لعدة قرون.

لذا يمكننا اعتبار أن قصة الهدهد هي مقدمة لما سيحدث لهم، وأننا هنا في مقام نقل سيرة هؤلاء القوم الذين جحدوا نعمة الله.

قبل أن نعرف ما حدث لهم، دعونا نتعرف أولاً من هم.

سأل رجل النبي ﷺ عن سبأ قائلاً: هل هو رجل أم امرأة أم أرض؟ فأجاب ﷺ:

«بل هو رجل، ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، ومن الشام أربعة.

أما اليمانيون: فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير.

وأما الشاميون: فلخم، وجذام، وعاملة، وغسان.»

تخيلوا، كل واحد من هذه القبائل كان يحكم مملكة كبيرة وحضارة عريقة، وتعتبر قبائل العرب معظمها تنتمي إلى قوم سبأ.

وذكر المفسرون أن المياه كانت تجري بين جبلين، فعملوا على سد ما بينهما ببناء محكم جدًا، حتى ارتفع الماء في أعالي الجبلين، وغرسوا فيهما البساتين والأشجار المثمرة وزرعوا الزروع الكثيرة.

وكان أول من بنى سد مأرب هو سبأ بن يعرب، وقد سلط عليه سبعين واديًا يفد إليها، وجعل له ثلاثين عينًا تخرج منها المياه، ووفاته حالت دون اكتمال بناء السد، فأكملته بعده قبيلة حمير، وكان اتساعه فرسخًا في فرسخ.

لكنهم جحدوا النعمة وعبدوا غير الله وكفروا برسله، وكانوا يعبدون الشمس ويسجدون لها.

وفجأة، وبدون أي إنذار مسبق، انهار السد بكل ما خلفه من مياه.

غرقوا جميعًا، وجاءتهم المياه من كل مكان، ولكن الله ﷻ جعل السبب في هلاكهم شيئًا صغيرًا كما هو الحال مع الطغاة في قصص أخرى. كما نعلم، فإن النهاية تأتي دائمًا من أصغر الأسباب التي لم يتخيلها الطغاة.

النمرود قضت عليه بعوضة.

يأجوج ومأجوج قضت عليهم دودة.

جالوت العملاق قضى عليه داود الفتى الصغير.

أما سد مأرب، فكان الذي قضى عليه... الجرذ!

الفئران!

تجمعت الفئران بأمر الله، وظلت تنخر في أساس السد دون أن يعلم أهله، ولا يدرون ما يجهز لهم من عذاب.

وفجأة انهار السد، وغرقت الحقول، والجنان، والبيوت، والطرق.

ولم يستطع أحد العيش في المدن، لأنها لم تغرق فحسب، بل تحولت بعد غرقها إلى أرض بور، لا تُزرع، وعند زراعتها تثمر أشجارًا رديئة وأثمارًا ملأنها الأشواك.

قال الله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ﴾ [سبأ:١٦]

ولم يقتصر عذابهم على ذلك فقط، بل قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾[سبأ:١٩]

تشتتوا في الأرض، وتمزقوا بعد أن هلكت أموالهم وخربت بلادهم، فكانوا في حاجة للرحيل منها.

فنزلت طوائف منهم إلى الحجاز، ومنهم خزاعة، الذين نزلوا في ظاهر مكة، ومنهم من سكن المدينة المنورة، فكانوا أول من سكنها.

ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود: بنو قينقاع، وبنو قريظة، وبنو النضير، فخالفوا الأوس والخزرج، وأقاموا بينهم.

وهلكت مملكة سبأ العظيمة بدعوتهم وجحودهم وعصيانهم لخالقهم ورسله، فحق عليهم العذاب.

١٣

تابوت السكينة

لغز حير العالم في حله

تابوت يتصدر الجيوش فتنتصر، وعندما يسرق تصاب البلدة السارقة بالطاعون .

قيل أن به روح الله، وبه تكنولوجيا غريبة لم تكتشف حتى الآن!!

تابوت ذكر في الديانات الثلاثة فُقد ولم يعرف مكانه حتى الآن

اسمه في الديانة اليهودية تابوت العهد

وفي الديانة المسيحية تابوت الشهادة

وفي الديانة الإسلامية تابوت السكينة

هناك من المفسرين كالقرطبي والإمام السيوطي من قال إن التابوت ميراث من الأنبياء يعود تاريخه إلى عهد سيدنا آدم عليه السلام، وأنه أُرسل من عند الله عز وجل إلى سيدنا آدم، وتوارثه الأنبياء جيلاً بعد جيل، حتى نجا مع سيدنا نوح عليه السلام في السفينة، ثم وصل إلى سيدنا موسى عليه السلام.

وهناك رأي آخر[١] يرى أن ذكر التابوت في القرآن اقتصر على موضعين فقط، وكلاهما مرتبط بقصة سيدنا موسى عليه السلام:

الموضع الأول: حين أمر الله تعالى أم موسى أن تضعه في التابوت وتقذفه في اليم، كما ورد في قوله تعالى:

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: ٣٩]

الموضع الثاني: بعد وفاة سيدنا موسى وهارون عليهما السلام، حين طلب بنو إسرائيل آية تدل على مُلك طالوت عليهم، وهو ليس من سبط الملوك. فجاء ذكر التابوت في سياق الحديث عن هذه الآية؛ حيث قال تعالى:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٤٨]

ومن هنا يُطرح السؤال: إذا كان التابوت موجوداً منذ عهد سيدنا آدم عليه السلام، فلماذا لم يُذكر في القرآن إلا في قصة سيدنا موسى؟

لكن سواء أكان التابوت يعود إلى زمن سيدنا آدم، أم هو التابوت الذي وُضع فيه سيدنا موسى وأُلقي في اليم ليصل

(١) تفسير ابن كثير

إلى فرعون مصر، فإن ما يعنينا هو قدسيته، فكلا الحدثين يُضفيان على التابوت قدسية خاصة، سواء باعتباره ميراثاً من الأنبياء، أم لكونه سبباً في نجاة سيدنا موسى عليه السلام.

أما عن شكل التابوت، فلم ترد نصوص صريحة في الدين الإسلامي تصفه تفصيلاً، وإنما اقتصرت الإشارة إليه على الآيتين المذكورتين. ومع ذلك، فقد ورد وصف مفصّل له في اليهودية والمسيحية، حيث ذُكر أنه صندوق يبلغ طوله ١١١ سم، وعرضه ٦٧ سم، وارتفاعه ٦٧ سم. وهو مصنوع من خشب السنط، ومغطى بالذهب من الداخل والخارج، وله حافة مزخرفة؛ وعلى طرفي غطائه المصنوع من الذهب يوجد ملكان متقابلان وجهًا لوجه. أما قوائم التابوت، فتحتوي على أربع حلقات من الذهب تُدخل فيها عصيّ مصنوعة من خشب السنط ومطلية بالذهب.

ولفهم أهمية التابوت، ينبغي تتبع أثره كما ورد في التفاسير.

التابوت الذي كان مع سيدنا موسى عليه السلام قيل إنه كان يحتوي على بقايا ألواح التوراة التي ألقاها موسى عندما علم أن قومه عبدوا العجل، وعصا موسى التي تحولت إلى حيّة تسعى أمام السحرة، بالإضافة إلى ملابس موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وطَست فيه «المن» الذي كان ينزل على بني إسرائيل كطعام في فترة التيه، وكذلك نسخة من

التوراة. وكما ورد في القرآن، فقد كان التابوت يحمل «سكينة» من الله تعالى.

اختلف المؤرخون والمفسرون حول معنى السكينة المذكورة في القرآن:

قال البعض إنها ريح طيبة لها رأسان ووجه يشبه الإنسان.

وذكر آخرون أنها حيوان يشبه القط، له جناحان وذيل، وتتميز عيناه بشعاع يُرعب الأعداء إذا نظر إليهم.

وهناك من قال إنها روح من الله تحلّ في التابوت لتبعث الطمأنينة

غير أن هذه التفسيرات تفتقر إلى الدقة، وما يُفهم من القرآن أن السكينة المقصودة هي الطمأنينة والراحة النفسية التي تأتي من الإيمان والقرب من آثار الأنبياء الصالحين. وكان التابوت بمثابة مصدر للطمأنينة والبركة لبني إسرائيل، حتى إنهم كانوا يضعونه في مقدمة جيوشهم لينتصروا في المعارك.

وللأسف، سرق التابوت من بني إسرائيل بعد حربهم مع الجبارين والعمالقة، مما شكّل خسارة كبيرة لهم.

قيل إن التابوت نُقل إلى معبد آلهة القوم الذين سرقوه، ولكنهم واجهوا ظواهر غريبة، مثل أن التابوت كان يظهر فوق رؤوس تماثيل آلهتهم كل صباح، مما دفعهم إلى إخراجه من بلادهم، وعندما نقلوه إلى قرية أخرى، أصيب أهلها بالطاعون، فأعادوه إلى بني إسرائيل.

وقد ورد في الروايات أن الملائكة قادت التابوت إلى بني إسرائيل على عجلة تجرها بقرتان، أو أن بني إسرائيل رأوا التابوت ينزل من السماء محمولاً من الملائكة ووُضع في بيت طالوت. وكان ذلك دليلًا على ملك طالوت وآمنوا به حينها.

وبعد زمن طويل، ورث التابوت النبي داوود ثم النبي سليمان عليهما السلام، وبعدها اختفى التابوت ولم يُعرف مكانه.

الرواية اليهودية: تزعم أن التابوت موجود داخل هيكل سليمان، وهو ما يفسر محاولاتهم المتكررة للحفر أسفل المسجد الأقصى.

الأسطورة الإفريقية: تقول إن التابوت نُقل إلى مملكة سبأ (إثيوبيا الحالية) بعد زواج الملكة بلقيس من النبي سليمان، وأنه مخبأ في كنيسة بمدينة «لا ليبيلا». الكنيسة منحوتة بطريقة غريبة داخل الجبل، ويُقال إن الجن الذين سخّرهم النبي سليمان هم من بنوها.

التابوت يُحرس من قبل كاهن عجوز يُقال إنه يموت بطريقة غامضة دائمًا.

رواية فرسان الهيكل: تشير إلى أن التابوت وُجد من قبل فرسان الهيكل وهو الآن بحوزة الماسونية، التي تُقال إنها تستخدمه كسر لقوتها.

بالنسبة للمسلمين، الإيمان بوجود تابوت السكينة وما يحتويه من بقايا آثار الأنبياء موسى وهارون عليهما السلام أمر ثابت. ومع ذلك، يبقى التصور الأقرب هو أن الله رفع التابوت إلى السماء لحمايته من أيدي الفاسدين.

١٤

قارون

«لا ترفع سعرك فيردك الله إلى قيمتك»

هذه مقولة للإمام الشافعي ﷺ. وهو يقول لك: لا تحاول أن ترفع من شأنك بشيء ليس لك، لأن رزقك ليس ملكك بل هو بيد الله، وعندما تظن أنه ملكك وأنك تملك القدرة على التحكم في الآخرين به، سيردك الله إلى مكانتك الحقيقية على الأرض.

وهذا تمامًا ما حدث مع واحد من بني إسرائيل؛ لكن دعني أصفه كما وصفه القرآن الكريم.

كان هذا الشخص من قوم موسى.

وهل هناك فرق؟! نعم، هناك فرق.

فقد تكرر لفظ «بني إسرائيل» كثيرًا في القرآن الكريم، وعندما يخصص القرآن قومًا لنبي، فإنه يقصد القوم الذين كانوا مقربين منه، المؤمنين برسالته، خاصته.

إذن بطل قصتنا هو قارون، الذي قال فيه القرآن الكريم: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾[القصص:٧٦].

نحن نعلم أن قوم موسى كانوا من المغضوب عليهم من فرعون. لماذا؟ لأنهم وقفوا ضد الظلم، وآمنوا بالله ونبذوا الطغيان. وعاشوا في قسوة، يعذبون وتُستحل نساؤهم، وتُقتل أطفالهم، وتُنهب أموالهم. وكان ذلك ليكون عبرة لكل من قد يفكر في الإيمان بموسى.

إذن، قارون كان مؤمنًا، مضطهدًا، فقيرًا مثل باقي بني إسرائيل.

من هو قارون؟ هو ابن عم رسول الله موسى عليه السلام وكان قريبًا جدًا منه، كان ذكيًا، وكما نعلم أن اليهود كانت مهنتهم الأولى هي التجارة. بدأ قارون يتاجر، واستعطف بني إسرائيل ليساعدوه، ووعدهم بأن المال الذي سيجمعه سيستخدمه في دعم دعوة موسى ضد فرعون، ومع مرور الوقت، أصبح قارون من أغنى أغنياء قومه.

المال الذي جمعه قارون كان نتيجة لتجارته، وليس بسبب الخيمياء كما زعم البعض. ومع زيادة ثروته، بدأ يحاول تجنب أن يصادر فرعون أمواله. كان فرعون لا يسمح لأحد من بني إسرائيل أن يصبح غنيًا، خوفًا من أن يستخدم ماله في دعم موسى.

وبدأ قارون يفكر في كيفية كسب ثقة فرعون، فقرر أن يظهر رفضه لعادات موسى، وبدأ يشتمه علنًا في محاولة لطمأنه فرعون بأنه ضده. وبالفعل، بدأ فرعون يراقب قارون.

وبمرور الوقت، أصبح قارون من أغنى أغنياء القوم، وكان يملك كنوزًا ضخمة، حتى أن مفاتيح كنوزه كانت ثقيلة جدًا لدرجة أن عشرة من أقوى الرجال لا يستطيعون حملها. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦]

ولكن قارون أصبح بعيدًا عن بني إسرائيل، بدأ يشعر بالغرور وزادت فتورته تجاه موسى، وعندما طلب منه موسى أن يؤدي زكاة ماله، استكبر ورفض؛ وابتعد عن موسى وقومه.

مع تزايد ثروته، أصبح قارون بعيدًا عن دينه، وبدأ يتعامل مع الناس بتعالٍ شديد عندما أنعم الله عليه بنعمه، كان يحاول إظهار أنه هو الذي حصل على المال بجهده وعلمه وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨]

إياك أن تنسى أنه طالما كنت في حال من الستر في الدنيا، راضيًا بحالك، فإن الله سيضيء قلبك ويشغلك بنفسك. لكن عندما تتغير ظروفك، وتفتح أمامك أبواب نعمة الله، عليك أن تخاف.

خَفْ أن تتغير، أن تجحد، أن تتكبر، وأن يظهر ما في قلبك من غرور ويغذيه المال فيكبر.

فبدلًا من أن ترى الغني وتقول في نفسك: «لو كان لي من المال ما له، لَشَيَّدتُ به المساجد وأطعمْتُ الأيتام

ووجهتُه للعمل الخيري»، فإن الحقيقة هي أن الله أعلم بك من نفسك. فهو يعلم أن يومًا ما إذا رزقك المال، ستظهر شخصيتك الحقيقية، وستسعى وراء المزيد مهما كان الثمن. كما قال الله في كتابه الكريم: ﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الشورى:٢٧]

هذا ما حدث مع قارون، انظروا إلى تكملة الآية:

﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [القصص:٧٦]

لقد بسط الله الرزق لقارون فبغى على قومه وعلى نبيه الذي كان ما زال مؤمنًا بدينه.

كيف بغى عليهم؟

بدأ يتصرف كما فعل أعوان فرعون مع بني إسرائيل، فكان يرفع أسعار السلع، يخبؤها، ويرفض بيعها لهم، وكل هذا كان يبرره لهم بأن السوق أصبح صعبًا، وأنه يبيع بخسارة، وأنه يستثمر أموالهم في مشاريع هامة.

لكن الأمر لم يكن مقتصرًا على ذلك فقط، بل كان يستمتع بتعذيبه لهم ويذلهم. فكان من بين هؤلاء من لا يجد قوت يومه، فيضحك عليه، ومن يطلب منه قرضًا فيعطيه، ولكنه كان يقف عليه مديونًا بمبالغ زهيدة بالنسبة له، فقط ليذله. ثم كان يقول له: «تعالَ للعمل عندي كعبد، ويمرغه في العذاب.»

بدأت بني إسرائيل تشك في تصرفاته، وبدأ موسى يراقب ما يحدث وهو صامت. فبدأ الناس يسألونه: «لماذا تفعل ذلك بهم؟»

فأجابهم: «أنا أعرفهم جيدًا، فأنتم تعلمون أن الفقير، عندما يَغتني، سيتكبر عليكم.»

ولكنه ظل الأمل الوحيد لبني إسرائيل، وما زال لديهم أمل فيه، لكن قارون استمر في التمادي في البغي والضلال، وبدأ يعمل في مجالات أخرى تمامًا.

ومع زيادة الثراء، بدأ الناس يفكرون، لماذا أغناه الله ومنحه المال ونحن على هذا الحال؟

قارون في تلك الفترة كان لا يزال مؤمنًا باليهودية، لم يعبد الأصنام ولم يسجد لفرعون، ولكن تصرفاته جعلته في ذات المستوى معهم. فالكفر ليس مقتصرًا على العقيدة فقط، بل يشمل أيضًا المعاملة.

بدأ عقلاء بني إسرائيل يعظونه،

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦]

احذر على نفسك عندما تأتيك نعمة، هل تغيرت؟ هل قلّت عبادتك؟ هل قصرت مع ربك؟ حينها يجب أن تخاف لعلّك تكون من أولئك الذين قال الله فيهم:

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤]

ولا يزال قومه ينصحونه:

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [القصص:٧٧]

كل هذا وكان سيدنا موسى يشاهد من بعيد ولا يتدخل، فقد كان يعرف نفسية قارون جيدًا، وكان يعلم أنه يفعل ذلك لكي يقول له: «أنت غيور مني، أنت لا تتمنى لي الخير».

وبدأ قارون ينكر نعمة الله عليه، فقال:

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾[القصص:٧٨]

أي أنه لا أحد يجب أن يظن أن له فضلًا عليه، بل ما أملكه هو ثمرة جهدي وعلمي وذكائي، لا أنتم يا بني إسرائيل ولا حتى ربكم.

وهنا بدأ ينكر فضل الله عليه.

أنتم تعلمون أنه في سرد القصة في سورة القصص، توقف الله عن السرد هنا وبدأ يعقب عليها قائلاً:

﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ﴾ [القصص:٧٨]

أي أنكم بعد أن أكرمكم الله بكل هذا الخير، ما زلتم تنكرون، وتقولون أن هذا من علمكم وجهدكم، وابتعدتم عن النصيحة وقطعتم علاقتكم بكل من قد يذكركم بهدفكم.

لكن قارون استمر في تسريع خطواته نحو السقوط، وكان أولها مرحلة المقارنة.

قارون قارن نفسه بمن؟!

بدأ يسأل:

«ما الفرق بيني وبين موسى؟ هو لديه رسالة وقضية ونبوة، وأنا أملك المال. لماذا يحب الناس موسى أكثر مني؟»

وهنا بدأ يفسد في الأرض:

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧]

كان لا يرى الله، بل كان يرى موسى يريد أن يكون له الأتباع والأنصار، مع أن قارون كان من علية القوم، من أصحاب المال والجاه. لكنه كان يطمع في ذلك، فبدأ يغري بني إسرائيل.

قدّم لهم القروض، والملهيات التي تبعدهم عن عبادة الله، وبدأ يعمل على غرائزهم ونفوسهم، رغم كل هذه الإشارات التي أرسلها الله إليه، فإن الله ﷻ لا يظلم أحدًا، بل يعطي الفرص كثيرًا قبل أن ينزل العقاب.

لكن جاء الوقت الحاسم الذي كان فرعون يترك فيه قارون يتفاخر ويكبر ويتاجر من أجل هذا.

كان قارون في البداية يريد أن يضرب موسى، وأراد أن يفعل ذلك باستخدام ما يملكه، خاصة بعد حادثة عصا موسى والسحرة.

فبدأ فرعون وهامان يتحالفان مع قارون ضد موسى.

تخيلوا كيف سيكون رد فعل قارون، وهو ابن عم موسى، تجاهه!

فكر في إثارة فتنة داخلية بين بني إسرائيل لتشويه صورة موسى في أعينهم.

اتفق مع امرأة فاسقة وقال لها أن تفتري على موسى أمام الناس وتتهمه بالزنا.

تخيلوا أين كنا وأين أصبحنا، وكيف غيرت الأموال النفوس.

وبالفعل، ذهبت المرأة ووقفت بين الناس بينما كان موسى يخطب فيهم، وقالت إنها زنت مع موسى. شعر موسى طبعًا بالمكيدة التي تدبر له.

فدعا الله قائلاً: «اللهم أظهر الحق، اللهم اهدِ قلبها لتنطق بالحق، اللهم لا تفضح عبدك ونبيك، اللهم أظهر الحق.»

سمعت المرأة دعاءه، فتابت وبكت، وقالت: «قال لي ذلك قارون.»

فتكشف أمر قارون أمام الناس.

ولكنه لم يهدأ، بل سعى لاسترضاء علية القوم، بينما ترك موسى في حاله. بالطبع لم يكن ذلك لعدم اهتمامه بموسى، بل كان يخشى على ثروته من غضب فرعون. فكان الحل الوحيد الذي يراه لإثبات نفسه هو التخلص من موسى وأتباعه.

استأذن فرعون أن يخرج في موكب لعرض ثروته وعرباته وذهبها، وكان يعرف تمامًا ما الذي يثير نفوس الناس.

قال الله ﷻ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص:٧٩]

موسى كان يحمل رسالة.

أما هو، فكان يمتلك حياتهم، وكان يملك ما يحتاجونه: المال.

بدأت نفوس بني إسرائيل تنقلب وتسأل: «لماذا هو على خطأ ونحن على صواب؟ هو يعيش حياةً جيدة، وربنا يمده من نعمه ويزيده، ونحن في حالنا، معذبون.»

هذا السؤال في الحقيقة هو الأداة التي يدخل بها الشيطان دائمًا إلى النفوس الضعيفة، من فينا على صواب ؟!

بدأ عقلاء بني إسرائيل ينصحونهم، قائلين:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص:٨٠]

ولكن في تلك اللحظة بدأت الفتنة تتسلل إلى نفوس بني إسرائيل وبدأ قارون يحقق مراده.

بدأت الآيات تتغير من:

﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾

إلى:

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٣٩ : ٤٠]

شاهدوا كيف بدأ السقوط، فقد استمر قارون في تعبئة كفة المال، ناسيًا كفة الأخلاق، واستمر في ملء كفة الدنيا، ناسيًا كفة الآخرة، حتى امتلأت كفة الدنيا.

الآن، لم يعد هناك أمل في إصلاحه. أصبح قارون ضارًا لدعوة موسى، بل أصبح أكثر خطرًا من فرعون، فهو يثير الفتنة داخل بني إسرائيل، مما قد يؤدي إلى تفككهم.

جاء الأمر الإلهي:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾

كلمة واضحة جدًا، بسيطة وسريعة، اختفى موكبه وكل شيء معه، وانتهت القصة.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص:٨١]

وهكذا انتهت قصة قارون ببساطة.

ابتلعت الأرض ثروته وجاهه وماله في ثوانٍ، وكأنه لم يكن موجودًا.

قارون لم يعبد الأصنام ولم ينطق بالكفر، لكنه يكفره في الأفعال، في أخلاقه، كان منافقًا؛ أظهر إيمانه للناس، ولكن في قلبه كان حاقدًا غافلًا عاصيًا.

هذه هي النهاية التي ستؤول إليها كل نفس ظالمة متكبرة. ليس بالضرورة أن تخسف به الأرض، بل قد تخسف مكانته، كرامته، حياته، ويُذل كما أذل الناس، ويُهان كما أهان الناس، ويُنسى كما نسى لقاء ربه. ولكن الله وعد الظالمين بالعذاب، ولا يؤخر عذابه إلا بمشيئته.

١٥

عوج بن عناق والجبارين

عملاق يصل طوله إلى ثلاثة آلاف ذراع كان يعيش على الأرض، وعاصر العديد من الأنبياء، وقُتل على يد سيدنا موسى.

عندما خرج سيدنا موسى عليه السلام من مصر، قسّم بني إسرائيل إلى اثني عشر قبيلة أو سبطًا، واختار رجلًا من كل قبيلة ليبعثهم لاستطلاع الأرض الجديدة التي أمرهم الله بالتوجه إليها، وهي الأرض المقدسة.

وكانت الوجهة حينها نحو أريحا، والتي كان يسكنها قوم جبارون.

سنتعرف على صفاتهم فيما بعد.

بدأت رحلة سيدنا موسى مع بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة وعندما اقتربوا منها اعترض بني إسرائيل كعادتهم: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة:٢٢]

أرسل سيدنا موسى النقباء الاثني عشر ليتفقدوا البلد وحالها وحال سكانها وما هو سبب تسميتهم بالجبارين،

في الطريق قابلهم واحد من هؤلاء الجبارين؛ لكن هذا الشخص كان عنوانا لكل ما سيجدونه في المدينة؛ وكان اسمه عوج بن عناق ..

ربطهم عوج بن عناق في جذوع النخل، وقال لزوجته بسخرية :

- هل تتخيلين أن هؤلاء القوم هم من سيقاتلون الجبابرة العظام؟!

ورفع قدمه وهمّ بقتلهم دهسًا بقدمه..

ولكن امرأته قالت:

- لا عليك إلا أن تفك أسرهم وأرسلهم لقومهم ليخبروهم ما وجدوه في أرض الجبارين وحينها لا تراهم ولا ترى قومهم.

ولكن ماذا وجد الوفد في أرض الجبارين؟!

ما سأنقله الآن يعتبر من أكبر الخرافات اللي ذكرت في كتب التفسير التي نقلها المفسرون، لأنها ذكرت وذكر اسم عوج بن عناق صريح في التوراة والإنجيل ولم يذكر في القرآن فتم تداولها ضمن ما لا يصدق ولا يكذب.

فمن هو عوج بن عناق ؟!

وفقًا لما ورد عن الروايات الإسرائيلية فإن عوج بن عناق - كما يُقال - هو حفيد سيدنا آدم عليه السلام من ابنة تُدعى «عنق» أو «عناق». كانت هذه الابنة، وفقًا للروايات،

عاصية ومتمردة، وقد ولدت من علاقة محرمة بين قابيل وأخته. قيل إن الشيطان علّمها السحر، فبدأت تؤذي الناس بسحرها، وهي تُعتبر، حسب هذه الروايات، أول ساحرة في التاريخ.[١]

لم يكن هذا الحال مقبولاً لدى السيدة حواء، إذ كانت ترى في أفعال ابنتها أذى كبيرًا فقامت بالدعاء عليها، فاستجاب الله لدعائها وأرسل عليها أسدًا بحجم الفيل ليقضي عليها ويخلّص الناس من أذاها.

أنجبت «عنق» بعد ذلك ولدًا يُدعى عوج، الذي ورث صفات أمه السيئة. كان عوج، وفقًا لما ورد، كافرًا بالله ومعاديًا للرسل والأنبياء. وتُشير الروايات إلى أنه عاش إلى زمن الطوفان في عهد سيدنا نوح عليه السلام.

تُذكر بعض الروايات الإسرائيلية أن عوج كان طويلًا جدًا، بحيث بلغ طوله ثلاثة آلاف ذراع، كما قيل إنه كان يستطيع صيد الحيتان من البحر وشويها في الشمس، وأنه كان يعصر السحاب ليشرب مياهه. وبحسب هذه الروايات، طلب عوج من سيدنا نوح أن يحمله على السفينة، لكن نوح رفض. ورغم ذلك، يُقال إن الطوفان لم يغرقه بالكامل؛ فقد بلغ الماء إلى ركبتيه أو عنقه فقط، وقيل إنه نجا لأنه كان يساعد نوحًا في بناء السفينة وحمل الأخشاب الثقيلة.

(١) البدء والتاريخ للمقدسي

ومع أن هذه الروايات ذُكرت في بعض كتب التفسير مثل القرطبي والثعلبي، فإنها تُعتبر من الإسرائيليات التي لا تُصدّق ولا تُكذّب، إذ لا تستند إلى نصوص شرعية صحيحة.

وفي زمن سيدنا موسى عليه السلام، وردت قصة أخرى عن عوج، إذ قيل إنه كان من العمالقة الذين سكنوا الأرض المقدسة. عندما بعث سيدنا موسى النقباء الاثني عشر لاستكشاف الأرض، رأوا العمالقة ومن بينهم عوج، فشعروا بالخوف ومع ذلك، اتفقوا على عدم إخبار بني إسرائيل بما شاهدوه كي لا تضعف عزيمتهم. ولكن عشرة منهم خالفوا هذا الاتفاق، بينما اثنان فقط أثنيا على قدرة بني إسرائيل على الانتصار، وقالا: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]

رغم ذلك، رفض بنو إسرائيل نصيحة الرجلين وأعلنوا خوفهم، قائلين لسيدنا موسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[المائدة:٢٤]

عندها غضب موسى ودعا عليهم، فابتلاهم الله بالتيه أربعين سنة حتى نشأ جيل جديد أكثر طاعة لله ولأنبيائه.

تُشير الروايات إلى أن النهاية جاءت لعوج في عهد سيدنا موسى، إذ خرج العمالقة لمحاربة بني إسرائيل، وكان عوج من بينهم. قيل إنه اقتلع صخرة ضخمة من الجبل محاولًا إلقاءها على جيش بني إسرائيل، لكن الله أرسل طيرًا

أحدث ثقبًا في الصخرة، فسقطت على رأس عوج وحبسته. عندئذ وثب سيدنا موسى بعصاه وضرب عوج على ركبتيه، فسقط ميتًا.

تذكر بعض الروايات الأسطورية أن جثة عوج كانت ضخمة لدرجة أن الناس كانوا يعبرون فوقها إلى النيل لمدة سنة كاملة، وهذه نهاية قُدمت لعوج عبر ثلاثة أنبياء: آدم، ونوح، وموسى عليهم السلام.

ملاحظة: هذه الروايات غير مثبتة في النصوص الشرعية الصحيحة وتُصنّف ضمن الإسرائيليات التي وردت في بعض كتب التفسير القديمة.

ولكنها تشبه كثيرا الأساطير اليونانية وخصوصًا أخيل الذي قتل من كعب قدمه، قصة خرافية لا تصدق

وقد أورد ابن كثير في كتابه البداية والنهاية أسباب رفضها.

◆ **أولا :**

الحديث الوارد في الصحيحين إن الله خلق أدم وطوله ستون ذراعًا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن»

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ،

فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهَّ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهَّ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ»

فكيف إذا طوله ثلاثة آلاف ذراعًا .

◆ **ثانيًا:**

عندما قال دعا نوح ربه

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦]

هذا دليل واضح إن جميع من نجا من الطوفان كان من المؤمنين، وعوج بالأساس كان كافرا، وإن كان هناك ناجي لكافر كان الأولى بالنجاة هو ابن سيدنا نوح الذي حزن لغرقه.

إذن من هم جبارين الأرض المقدسة وفقا لروايات الكتاب والسنة :

قيل أن الأرض المقدسة كانت مسكونة من قبل قوم جبارين أقوياء أشداء ذوي بنيان ضخم ولكنه ليس بضخامة الروايات الإسرائيلية ، قوم طوال، عراض، لم يهزموا من قوم من قبل.

فلما واجهوا نبيهم بهذا الكلام قام رجلان من الذين أنعم الله عليهم وأسلموا من قوم الجبارين ونصحوهم بمحاربة الجبارين وأخبروهم بالخطة التي عليهم اتباعها للنصر على الجبارين وهي أن يدخلوا عليهم الباب فجأة، فإذا دخلوا بهذه الطريقة ستكون الغلبة لهم.

ولكن بني إسرائيل بالتأكيد تولوا عن نبيهم ولم يصدقوا حديث الجبارين ذوي الخبرة.

فقال سيدنا موسى لربه:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٥]

ما ذكرت هو تفسير منطقي لرواية عوج بن عناق وقصص العمالقة في سياق بني إسرائيل ورحلتهم إلى الأرض المقدسة. فعوج بن عناق، الشخصية الأسطورية التي توصف بصفات خرافية كضخامته المفرطة وطول عمره، قد تكون وسيلة استخدمها المفسرون لأغراض متعددة:

١. **الطعن في مصداقية القصص**: يمكن أن تكون رواية عوج بن عناق وسيلة للطعن في قصص الأنبياء أو في الحقيقة التاريخية لتلك القصص، خاصةً عند بعض الطوائف أو الثقافات التي لم تتقبل الرواية الدينية كما هي. فإذا كانت شخصية بمثل هذه الضخامة موجودة فعلًا، لكان من المتوقع أن يذكرها القرآن صراحة، خاصة مع قصص أنبياء بني إسرائيل، بدءًا من آدم وصولًا إلى موسى.

٢. **تبرير ضعف بني إسرائيل أمام الجبابرة**: تصوير العمالقة بأسلوب خيالي قد يكون لتبرير إحجام بني إسرائيل عن الدخول في الأرض المقدسة خوفًا من العمالقة والجبارين. وقد استُخدم عوج بن عناق رمزًا للتأكيد على ضآلة

قـوة بنـي إسرائيـل وادعـاء أنهـم كانـوا عاجزيـن عـن مواجهـة قـوم بهـذه المواصفـات الخارقـة، وهـو تبريـر لموقفهـم الرافـض للدخـول.

٣. إخفـاء التخـاذل الحقيقـي: القصـة قـد تخفـي المعنـى الحقيقـي الـذي يـبرز تخـاذل بنـي إسرائيـل أنفسـهم وتجنبهـم الحـرب، حيـث كانـوا عـلى اسـتعداد للاسـتمرار في حيـاة التيـه بـدلاً مـن التضحيـة في سـبيل الله. إذ أن رفضهـم كان نابعـا ليـس مـن ضعـف القـوة، بـل مـن رفضهـم للفكـرة ذاتهـا.

لـذا، قـد تكـون خرافـة عـوج بـن عنـاق تهـدف إلى إيجـاد مبرر «غـير عقـلاني» لموقـف بنـي إسرائيـل، بحيـث يظهـرون كـما لـو أن ضعفهـم ليـس نتيجـة خـوف أو قلـة حيلـة، بـل لأنهـم كانـوا أمـام عـدو خـرافي لا يمكـن التغلـب عليـه.

١٦

طالوت وجالوت

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩]

قاعدة قرآنية تعلمنا إن النصر في الحرب لم يكن أبدا بالعِدة والعُدد والآلاف المؤلفة، النصر في الحرب بقوة الإيمان والقدرة والصبر.

نحن الآن أمام معركة بين جيش الجبابرة بأعدادهم الضخمة وجيش لم يصل منه لأرض المعركة إلا ثلاثمائة وبضعة عشر محارب .

استرقوا السمع ..

بدأت طبول الحرب تقرع، تأهب الكل للنزال، وخرج الملك الجبار الطاغية جالوت ونادى في الفئة القليلة من يخرج لمبارزتي فيقتلني فله مُلكي ولو قتلته فلي ملككم.

صمت الكل ينتظر الجَسُور الذي سيقف أمام جبروت جالوت ويبارزه .

تحـرك فـرس جامـح وعليـه صبـي قصـير القامـة مسـتتر جسـده خلـف الـدروع وفجـأة تـرك حصانـه وخلـع عنـه درعـه وأخـد فقـط مقلاعـه وكيـس مـن الحجـارة وذهـب لقتـل جالـوت .

لفهـم قصة هـذا المغـوار، علينـا العـودة بالزمن بضع سـنوات، إلى فـترة مـا بعـد وفـاة سـيدنا موسـى وهـارون وانقطـاع سلسـلة أنبيـاء بنـي إسرائيـل. في ذلـك الزمـن تكاثـرت المحـن عـلى بنـي إسرائيـل؛ حيـث تسـلطت عليهـم الملـوك، وغلبهـم العمالقـة القادمـون مـن أرض غـزة وعسـقلان، فسـلبوا منهـم تابـوت العهـد، وقتلـوا عـددًا كبـيرًا مـن رجالهـم، وسـبوا جمعًـا غفـيرًا مـن أبنائهـم. وفي ظـل هـذا الخـراب، انقطعـت النبـوة عـن سـبط لاوي، ولم يبـقَ منهـم سـوى امـرأة واحـدة كانـت حبلـى.

للتوضيـح، كان بنـو إسرائيـل ينقسـمون إلى اثنـي عـشر سـبطًا، وقـد اعتـادوا أن تكـون النبـوة في سـبط لاوي، بينـما المُلـك يختـص بسـبط يهـوذا. لكـن في ذلـك الوقـت، كان سـبط لاوي قـد تعـرض للإبـادة؛ حيـث قُتـل رجالـه، وخُطفـت أطفالـه، ولم يبـقَ فيـه إلا بصيـص أمـل، وهـو المـرأة الحامـل التـي كانـوا يرجـون أن تلـد نبيًـا يعيـد عزتهـم المفقـودة.

كانـت هـذه المـرأة تدعـو الله كثـيرًا أن يرزقهـا ولـدًا، وعندمـا وضعـت ابنهـا أطلقـت عليـه اسـم أشـمويل (ويُقـال إسـماعيل، ويعنـي «سـمع الله دعائـي»)، أو كـما نعرفـه باسـم صموئيـل.

أحاطت الأم ابنها برعاية خاصة، وبدأت تعلّمه الدين، ثم أرسلته إلى المسجد ليتعلم من رجل صالح كان يعلّم الناس أمور دينهم. نما أشمويل في بيئة من الصلاح والتقوى، حتى إذا كبر وظهرت عليه علامات الصلاح والورع، نزل عليه جبريل عليه السلام ليبلغه بأن الله قد اختاره نبيًا إلى قومه.

بدأ النبي صموئيل في إعادة إحياء الدين في نفوس بني إسرائيل، مجتهدًا في إحياء قلوبهم الذليلة المنهكة من الهوان والتيه والتشتت. وعندما شعروا بشيء من القوة والشجاعة، استعدوا لمحاربة من ظلمهم والسعي لدخول الأرض المقدسة.

ولكن نبيهم، العارف بأحوالهم ونفوسهم، خاطبهم محذرًا وقال:

﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾ [البقرة:٢٤٦]

ورغم إظهارهم الحماس في البداية، إلا أن الله أخبر نبيه بعلم الغيب:

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٤٦] ومع ذلك، أصروا قائلين:

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾ [البقرة:٢٤٦]

فقد رأوا في القتال السبيل الوحيد للخلاص من ظلم الجبارين واسترداد ديارهم وأبنائهم. لكنهم تساءلوا: كيف لنا أن نخوض الحرب ونحن بلا قائد أو ملك؟

فقال بنو إسرائيل لنبيهم:

﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾

وكان من المعروف أن المُلك في بني إسرائيل ينتمي إلى سبط يهوذا، فتهيأ القوم لاختيار ملك بإرادة الله. فأوحى الله إلى نبيهم أن الملك قد اختير، وأن علامة اختياره ستظهر في طول قامته، التي تتساوى مع طول عصا موسى عليه السلام.

بدأ الرجال يتوافدون، كل واحد منهم يأمل أن يكون هو الملك المختار، ولكن لم يكن فيهم من تنطبق عليه العلامة. ساد القلق بينهم، إذ ظنوا أن المُلك لا يمكن أن يكون إلا من سبط يهوذا.

وفي تلك اللحظة، ظهر رجل سقّاء للماء من سبط بنيامين يُدعى طالوت، لم يكن يُؤبه له في بادئ الأمر، لكنه كان الوحيد الذي تساوى طوله مع طول العصا!

بالرغم من ذلك، رفض بنو إسرائيل طاعته ونفروا منه، وطعنوا في أهليته للملك، قائلين:

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾ [البقرة:٢٤٧]

فأجابهم نبيهم مبينًا:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٧]

كان اعتراض بني إسرائيل نابعًا من كون طالوت رجلاً فقيرًا، لا ينتمي إلى سبط الأنبياء (سبط لاوي) ولا سبط الملوك (سبط يهوذا). لكن الله كان أعلم بقدرات طالوت. فقد منحه الله قوة البدن وسعة العلم والخبرة، مما جعله الأجدر بقيادة بني إسرائيل في حربهم ضد العمالقة.

ولإثبات ملكه لهم، أرسل الله آية عظيمة؛ إذ حملت الملائكة تابوت العهد وأعادته إلى بني إسرائيل. كان هذا التابوت رمز عزتهم وملكهم المسلوب، مما أزال شكوكهم وأخضعهم لطالوت.

حينما استعد طالوت للحرب، قاد جيشًا كبيرًا عدده ثمانون ألفًا من بني إسرائيل، عازمًا على استعادة كرامتهم المسلوبة. وعند انطلاق الجيش، ابتلاهم الله باختبار للنوايا والطاعة، فقال لهم طالوت:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة:٢٤٩]

كان هذا النهر هو نهر الأردن، المسمى بالشريعة، ويمثل الحد الفاصل بين أرض بني إسرائيل والأرض المقدسة.

ورغم التحذير، عجز معظم الجنود عن اجتياز هذا الاختبار، واندفعوا يشربون من النهر إلا قليلًا منهم، لم يتجاوز عددهم أربعة آلاف مقاتل.

تحرك طالوت بمن بقي معه من المؤمنين الصادقين حتى وصلوا أرض المعركة. وهناك وجدوا أنفسهم في مواجهة جيش جرار تحت قيادة جالوت، وهو جيش عظيم في عدده وقوته، مما أثار الخوف في قلوب بني إسرائيل. فقالوا:

﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾

ولكن المؤمنين الموقنين بنصر الله قالوا:

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

لم يصمد مع طالوت في النهاية سوى ٣١٣ محاربًا، عدد قليل ولكنه ممتلئ بالإيمان. عسكر طالوت بهذا العدد، وبدأوا بالتضرع والدعاء لله قائلين:

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

حينها خرج جالوت يطلب مبارزًا واحدًا لقتاله، معلنًا: «من يقتلني يكون له ملكي، وإن قتلته أكون ملككم.»

حاول طالوت تحفيز الجنود، فوعدهم بالزواج من ابنته ومنحهم نصف ثروته لمن يتجرأ على مواجهة جالوت، ولكن لم يخرج أحد.

لجأ طالوت إلى نبيه يسأله المشورة، فأوحى الله لنبيه أن من يقتل جالوت سيُختار بوحي إلهي. أُحضِر قرن مملوء بدهن القدس، وقيل لطالوت إن الرجل الذي سيغلي الدهن على رأسه دون أن يسيل هو المختار.

بدأ طالوت يجرب مع جنوده، ولكن لم ينطبق الشرط على أي منهم. فأوحى الله لنبيه أن هناك شابًا صغيرًا من أبناء إيشا هو من سيقتل جالوت.

إيشا، الذي كان لديه ثلاثة عشر ولدًا، عرض اثني عشر منهم على طالوت. كانوا جميعًا طوال القامة، مفتولي العضلات، ولكن الدهن لم يغلي على رؤوسهم. حين سأله طالوت: «هل لديك أبناء آخرون؟» أنكر في البداية، ثم أقر بوجود ابن صغير يُدعى داوود، لكنه لم يحضره بسبب قصر قامته واستحيائه منه.

كان داوود راعي غنم، شجاعًا وماهرًا في استخدام المقلاع، لا يخطئ هدفًا. ذات مرة أخبر والده أنه واجه أسدًا بين الجبال وأمسك بأذنيه دون أن يهاجمه، وأن الجبال كانت تسبح معه.

حينما أُحضِر داوود، وضع النبي قرن الدهن على رأسه، فغلى الدهن دون أن يسيل على وجهه. عندها أدرك الجميع أن هذا الشاب الصغير هو المختار. لكنهم تساءلوا: كيف لداوود بقامته القصيرة أن يواجه الجبار جالوت؟

وبدأ القتال وصمتت أرض المعركة عندما وجد جالوت أمامه صبيا قصيرا يحمل مقذافه .

فقاله: ارجع فإني أكره قتلك

فقال داوود: ولكني أحب قتلك

وبدأ يسمي الله ويدعوا برب إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وضرب ضربته فسقط جالوت بها .

وقتل داوود جالوت بضربة مقذاف واحدة .

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [البقرة:٢٥١]

وعاد الجيش منتصر وعادت عزة بني إسرائيل وهزم الجبارين، وزوج طالوت ابنته لداوود وأعطاه نصف ملكه، لكن الناس بدأت تحب داوود جدا عن طالوت وبدأت تتجمع حوله وتستشيره، وقتها اشتعلت الغيرة في قلب طالوت.

وفعلا خطط لقتله، لكن في كل مرة يفشل في قتل داوود، وبدأت الناس تعرف نية طالوت في التخلص من داوود، وبدأ العلماء والشيوخ يحرضون على قتل طالوت، فقام بحملة للتخلص منهم جميعًا ولم يذر في بني إسرائيل عالم ولا صالح، ونبذ بين بني اسرائيل بعدما أعطاه الله الملك .

وعندما عرف فداحة ما فعله من قتل بدون حق وأراد الاستغفار والتوبة جاءه النبي صموئيل و قال له إن أردت أن يسامحك الله ضحي بنفسك وأولادك في سبيل الله، أخرج وقاتل حتى تقتل .

وبالفعل خرج طالوت هو أولاده وترك كل ما يملك لداوود حتى قتلوا جميعًا وتولى داوود الحكم وأتاه الله كل شيء. ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٥١]

وانتهت أسطورة الطاغية جالوت بحجرة راعي غنم، وامتلك راعي الغنم ملكا كبيرا، لا تستصغروا من شأن أحدا في الأرض فتذكروا دائمًا قول رسول الله المنقول عن أبي هريرة:

«رب عبد أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»

١٧

أصحاب الجنة

تخيل وأنت واقف يوم القيامة تنتظر حسابك، فتتفاجأ بخزينة أموالك أو محفظتك أو الحقيبة الصغيرة التي اعتدت وضع أموالك فيها، أو حتى ذهبك المخزن، يوضع على النار، ويصَهر ليصبح صفائح حديدية، تقترب منك حتى تشعر بحرارتها. ثم، تكوي بها جباهك فتتذكر تلك اللحظة التي رفضت فيها مساعدة المحتاج، وعبست في وجهه، وقلت «ما عندنا إلا هذا».

ثم تنزل الصفائح لتكوي جانبك، فتتذكر وقتها أنك تجنبته، وأخذت جانبًا آخر عنه، وبعدها تنزل على ظهرك، فتتذكر ذلك الوقت الذي مرَّ فيه الفقير ولم تمد يدك له.

إنه موقف شديد يدعو للشفقة، وتشعر بحجم الفضيحة والندم: «كنت أبخل ببضع جنيهات، والآن أعذب عليها».

﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٥]

الحقيقة أننا جميعًا مدينون لله. علينا دين يجب سداده من الأموال التي وهبها الله لنا.

هذا الدين هو حق الفقراء والمحتاجين في أموالنا.

نحن مجرد مستأجرين لهذه الأرض، ولم نكن يومًا مالكيها، الله أعطانا الأرض على أساس أن نعمرها بالطاعة والعبادة، كيف نعمر الأرض ونحن منقسمون إلى قسمين: قسم غني جدًا، وآخر جائع جدًا؟

هذا ما حدث مع أصحاب الجنة.

فمن هم أصحاب الجنة؟

القصة تبدأ مع رجل كان يعيش في صنعاء باليمن، أو في الحبشة حسب بعض الروايات، لكن الأقرب أنها كانت في اليمن.

هذا الرجل كان يمتلك أرضًا مزروعة، وكانت في البداية صغيرة، ولكنه كان يقتسم المحصول مع الفقراء.

كما أنه كان يفتح أرضه كل صباح للمحتاجين ليأكلوا منها دون أن يرد أحدًا.

مع مرور الوقت، كبرت الأرض وزاد المحصول، وكلما أعطى المزيد للفقراء، زاد رزقه حتى أصبحت الأرض جنة.

ثم مات هذا الرجل، فورث أولاده الثلاثة الجنة، وكان من المفترض أن يستمروا على نفس نهج أبيهم، لكنهم قرروا تغيير الأمور. قالوا لأنفسهم: «أبونا كان طيبًا، لكننا سنضع قوانين جديدة.»

أولًا: قرروا أن يأخذوا المحصول كله لأنفسهم هذا العام، دون إعطاء أي شيء للفقراء. هذا كان أول خطأ.

ثانيًا: قرروا أن يقطفوا المحصول قبل أن يحين وقته، كي لا يراه أحد ويعلموا خيره. هذا كان ثاني خطأ.

أخوهم الأوسط نصحهم أن يفعلوا كما كان يفعل أباهم، وكان المحصول كبيرًا، لكنهم لم يقبلوا، وأخيرًا، وافق على رأيهم. وهذا كان ثالث خطأ.

ثم قرروا أن يجمعوا المحصول دون قول «إن شاء الله»، كما كان يفعل والدهم. وهذا كان رابع خطأ

وفي صباح اليوم التالي، نادوا بعضهم البعض وذهبوا إلى الأرض كما كانوا قد اتفقوا.

لكن عندما وصلوا، اكتشفوا أن المحصول كله قد دمر! لقد أصبح كله أسود، كالليل الدامس، كما لو أن النار قد التهمته.

الأرض أصبحت غير صالحة للزراعة، وتحولت إلى أرض صلبة مليئة بالحجارة الحادة.

هذه الأرض كانت تقع على بعد ٢٠ كيلومترًا من صنعاء، وفقًا لتفسير العلماء.

كيف كانت مشاعرهم عندما رأوا ما حدث؟ أعتقد أنهم شعروا كما يشعر الشخص الذي يرى أمواله أو ذهبًا يُسَيحَّ على النار ويكوى بها جباهه وجنوبه وظهره.

لقد أخفقوا في دفع الدين، ولم يرجعوا حق الفقراء والمحتاجين.

والآن، وجدوا أنفسهم في هذا الموقف، لا هم حصلوا على الأرض ولا دنيا ولا آخرة.

وقالوا، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [القلم:٢٦]

وقال الأخ الأوسط: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم:٢٨]

قالوا: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [القلم:٢٩]

ثم بدأوا يتلاومون، وقالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ [القلم:٣١]

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [القلم:٣٢]

إن الزكاة والصدقة هي طهارة لنا، بغض النظر عن واجبها، فهي نجاة لنا من عذاب النار وموصلنا إلى المصير الحسن.

١٨

أصحاب الأخدود

كيف تصاحب ابنك؟

كيف تعلمه أن يأخذ حقه دون أن يؤذي أحدًا؟

كيف تجعله محبوبًا بين الناس ويعيش لهدف؟

و الأهم: كيف تنتصر أنت في معركة الوعي التي لا نهاية لها؟

إجابات هذه الأسئلة بين أيدينا الآن، بل كانت في أيدينا منذ البداية، لكننا افتقدنا الوعي الكافي لترجمة القصة للغة عصرنا ومعطيات حياتنا.

ويمكننا إطلاق مسمى آخر للقصة وهو «تربية الوعي»..

تبدأ القصة من أرض اليمن، وتقريبا في عام ٥٢٣ ميلادي، أي قبل بعثة النبي محمد ﷺ بأربعين سنة، كان هناك ملك يسمى ذو نواس.

كما ذكرنا سابقًا، بعد الأنبياء، وخاصة أنبياء بني إسرائيل، وعادة وبعد انقطاع المعجزات، كانت الشعوب تعود إلى الوثنية، إلا قلة قليلة ، وكان اليمن في تلك الفترة جزءًا كبيرًا منه يعتنق الديانة اليهودية.

وفي تلك المدينة، التي يُقال إنها نجران، بدأ الناس يعبدون إلهًا واحدًا، وهو الملك الذي نصب نفسه إلهًا ليتسلط على الناس ويستحل أموالهم، فخضع الناس له وعبدوه من دون الله، وتقربوا إليه بالهدايا والنذور.

لكن هناك راهب واحد كان متمسكًا بدينه، وكان يعرف أن الله في السماء وأن الملك ظالم، وأن حقوق الناس قد ضاعت تحت سلطته.

بدأ الراهب يتحدث مع الناس ويذكرهم بالأنبياء، وبالرسول عيسى ﷺ، وبدأ كثير منهم يعودون للتفكير في الإله الواحد، الله. لكن عندما وقع أحد هؤلاء الناس في يد الملك، قال له: «أنت لست إلهًا، أنت لا تصنع معجزات، والله هو الذي يصنع المعجزات، والله واحد، خالق السموات والأرض، وأنت لم تخلق شيئًا.»

وبعد أن عذبه الملك، اعترف على مكان الراهب، فهرب الراهب لأنه كان يعلم أنه إذا مات سيعود الناس إلى كفرهم، فآثر الهروب حفاظًا على الدين.

ولكن الملك كان يعلم أنه لا يمكن للناس أن يصدقوا أنه إله طالما لا تظهر منه معجزات. فماذا كان يفعل؟

في البداية لجأ إلى السحر.

من خلال خدع بصرية، وكلمات معسولة، وتمكّن من تغفيل عقول الناس.

مرت السنين وازداد مُلك ذو نواس، وكان الناس يصدقونه. أما الراهب فقد اختفى.

وفي أحد الأيام، جاء الساحر إلى الملك وقال له: «لقد كبرت، وقارب أجلي، لذا أريد غلامًا لأعلمه سحري، ليحمل راية الخداع من بعدي.»

بحث الملك حتى وجد غلامًا ذكيًا، وقد شهد الناس بذكائه. وكان الغلام متحمسًا لتعلم السحر ليصبح من كبار السحرة، ويقترب من الملك. بدأ الساحر بتعليمه السحر، وكان قاسيًا معه، و كان مصير الغلام أن يلتقي بالراهب في طريقه، وأثناء ذلك سقط في حفرة، فوقف الراهب وقال له: «أنت لست ساحرًا، بل تتعلم السحر.»

بدأ الغلام يتساءل وتقلصت قوة غروره ثم بدأ يتحدث مع الراهب الذي أخبره بقصته، ولم يوبخه أو يقول له أنه كافر أو أن السحر شرك.

كان الراهب يروي له عن الله وعن الدين، وعن سيدنا عيسى عليه السلام، بلطف وهدوء، دون أن يفرض عليه شيء.

بدأ الغلام يحب الحديث مع الراهب، لأنه كان يخاطب عقله ووعيه بلطف، وكان كلامه يؤثر في قلبه و كيانه، فبدأ يتأخر عن الذهاب إلى الساحر، وكذلك عن الرجوع إلى أهله.

وكان يتأثر أكثر بكلام الراهب، لكن ذلك جعله يتعرض للعقاب من كلا الطرفين: من الساحر وأهله.

وفي النهاية، لجأ الغلام إلى الراهب وقال له: «ماذا أفعل؟»

علمه الراهب الذكاء وقال له: «عندما تذهب إلى الساحر، قل له أن أهلك أخروك، وعندما تذهب إلى أهلك، قل لهم أن الساحر أخرَّك.»

لم يعلم الراهب الغلام الكذب، بل كان يعلمه كيف يستخدم عقله ويفكر بعناية في الأمور.

بدأ الغلام في حيرة شديدة، فهو بين الراهب الذي يخاطب عقله وقلبه، وبين الساحر الذي يملك القوة والسلطة. لكنه في النهاية اختار أن يختبر الأمر بنفسه.

في أحد الأيام، أثناء مروره، واجه دابة عظيمة سدت الطريق وهاجمت الناس. فخطر في باله أن هذه هي فرصته للاختيار بين الحق والباطل.

قال في نفسه: «إذا كان أمر الراهب أحب إلى الله من أمر الساحر، فلتقضِ هذه الدابة بحجر.»

ثم رمى الحجر في فم الدابة، فماتت.

هلل الناس وفرحوا به، وظنوا أنه أصبح ساحرًا عظيمًا، ولكنه في تلك اللحظة قال:

«لا إله إلا الله، هذا هو الحق، إليك أسلمت نفسي.»

ثم ركض إلى الراهب ليحكي له ما حدث معه.

هل لاحظتم كيف كسب الراهب ثقة الغلام؟

الراهب، بالطبع، فرح جدًا وقال له:

«أنت اليوم أفضل مني. لقد أصبحت بطلًا في نظر الناس وملكت قلوبهم. فالناس يحبون من يخدمهم ويحارب من أجلهم، ويشعرهم أن مصلحتهم أهم من مصلحته. الناس دائمًا بحاجة إلى قائد يتبعونه.»

لكن الراهب قال له:

«احذر، ستبتلى في المستقبل، وعندها لا تخبر أحدًا عني.»

ذلك لأن صاحب القضية لا بد أن يبتلى، سواء من الناس أو في نفسه، حتى ينصر قضيته.

في تلك اللحظة بدأ الغلام يختلط بالناس ولم يعزل نفسه كما فعل الراهب. أصبح موثوقًا لدى الجميع، يساعدهم ويخدمهم.

وقد علمه الراهب الطريقة الصحيحة:

«عندما تحب الناس يحبونك، وعندما تساعدهم يساعدونك، وعندما تقع سيرتفعون بك.»

بدأ الغلام يعالج الناس، لا باستخدام سحر الساحر، بل بالدعاء لله. لم يكن الله قد منح الغلام كرامات، بل كان يستجيب لدعائه. فكان يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله.

انتشر خبر الغلام بين الناس، وأصبح أفضل من الساحر وأقرب إليهم، لأنه لم يكن يؤذيهم. وفي يوم من الأيام جاءه جليس الملك، وكان أعمى، وقال له:

«اشفني، وسأعطيك مالًا يغنيك أنت وأهلك.»

لكن الغلام أجابه:

«أنا لا أشفي أحدًا، إنما الله هو الشافي. إذا آمنت بالله ودعوتُه، فسيشفيك.»

آمن الرجل بالله، ودعا الغلام الله فاستجاب له، ورد عليه بصره. ثم عاد الرجل إلى الملك وسأله:

«من رد بصرك؟»

فقال الرجل: «ربي.»

فقال الملك ببساطة:

«أنا؟»

فأجابه الرجل: «لا، ربي هو الله.»

فبدأ الملك يشعر بالقلق، خاصة أنه كان يهوديًا، وعرف أن هناك شيئًا يحدث بين الناس لم يكن يعلم به.

قال الملك:

«هل لك ربٌّ غيري؟»

فأجاب الرجل: «نعم.»

فعذبه الملك عذابًا شديدًا حتى دلّ على الغلام.

أرسل الملك الجنود إلى الغلام، وعلم أنه كان في بيته وأنه من ربى الأفعى، وعرف أنه يملك سحر الساحر. فقال له:

«قد بلغني أنك تشفي الأكمه والأبرص، وترد البصر.»

لكن الغلام، إذا صمت كان سيثبت أنه ساحر، لكنه واجه الملك وقال له:

«أنا لا أشفي أحدًا، إنما الله هو الشافي.»

فسأله الملك مرة أخرى:

«من هو ربك؟»

فأجاب الغلام: «ربي وربك هو الله.»

فأمر الملك بعذاب الغلام عذابًا شديدًا حتى دلّ على الراهب.

وكان الغلام في سن صغيرة، لم يتجاوز الثالثة عشرة، وكان العذاب شديدًا لدرجة أنه لم يستطع كتمان أمر الراهب.

جاءوا بالراهب، فقال له الملك:

«ارجع عن دينك.»

لكن الراهب رفض.

فأمر الملك بقطع رأسه بمنشار كبير، فشق رأسه أمام الغلام.

تخيلوا ذلك، كل هذا كان يحدث أمام الغلام.

لماذا؟

لكي يعترف أنه ساحر، وأن الملك هو الإله.

ولكن الراهب كان يعلم أن ضعفه سيؤدي إلى ضعف الغلام، وكان هو الأمل الوحيد له.

تكررت هذه القتلة البشعة مع جليس الملك، الذي رفض ترك دينه فشق جسده بالمنشار.

ثم جاء دور الغلام، فقال له الملك:

«ارحل عن دينك.»

فرفض الغلام.

ففكر الملك في كيفية التخلص منه بطريقة تبدو كأنها قضاء وقدر.

أرسل مع الغلام مجموعة من الجنود بلباس عادي وكأنهم في نزهة، ولكن النزهة كانت على قمة جبل، وأمرهم الملك:

«إذا لم يرجع عن دينه، فاقذفوه من الجبل.»

ولكن عند قمة الجبل، اهتز الجبل وسقط الجنود، بينما نجا الغلام. وكان الغلام قد قال:

«اللهم اكفنيهم بما شئت وكيف شئت، إنك على ما تشاء قدير.»

فاستغرب الملك وسأل الغلام عنهم، فأجاب:

«كفانيهم الله.»

ولكن الملك لم ييأس، وأرسل معه مجموعة أخرى من الجنود إلى البحر، حيث كانوا ينوون إغراقه. فدعا الغلام:

«اللهم اكفنيهم بما شئت.»

فجاءت الرياح وحركت القارب، وسقط الجنود في البحر فماتوا.

ثم عاد الغلام إلى الملك، وسأله:

«أين أصحابك؟»

فأجاب الغلام:

«كفانيهم الله.»

كان الملك لا يزال يصر على محاربته، ولكن الغلام أظهر له كل ما تعلمه من الراهب والساحر والدين، واستخدم عقله ليحقق الحق وينصر دينه.

الغلام قال للملك لن تقتلني إلا بما أمرك به فإن أنت فعلت ما أمرتك به قتلتني؛ إلا كأنك لا تستطيع قتلي.

قال للملك ليس هناك أمامك إلا طريقه واحدة :

- تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهمًا من كنانتي ثم تقول بسم الله رب الغلام وتطلق السهم.

تعامل الغلام ذكاء مع الموقف، جعل الملك يعترف أمام الناس بسقوط الألوهية عنه وأن هناك رب كريم هو الرب الذي آمن به الغلام .

وفعل الملك كما أمره به الغلام .

وضع السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوقع السهم في صدغ الغلام فوضع الغلام يده علي صدغه وابتسم ومات..

خيم الصمت على الساحة إلا من بكاء أم الغلام التي هرولت عليه و ضمته وهي تكرر لا إله الا الله .

وهلل القوم من خلفها لا إله إلا الله آمنا برب الغلام.

وآمنت المدينة كلها ووقف الملك ذاهلا مما يحدث، غلام صغير غلبه ونكس جهوده لسنوات لاعتلال عرش الألوهية.

فأمر جنوده بعمل أخدود بطول المدينة يأجج فيه النار، وأتى بأهل المدينة ممن آمنوا وخيرهم عن الرجوع عن دينهم وإلا الموت حرقًا ولكن جميعهم أجمعوا على الإيمان برب الغلام .

وألقوا بأنفسهم جميعًا في الأخدود وتبقى في المدينة امرأة واحدة تحمل رضيعا، نظرت لرضيعها واستصعب عليها الأمر أن تميته حرقًا ففكرت في التنازل ولكن الطفل نطق وقال :

- اصبري يا أماه إنك على الحق

وقتل هذا الملك في هذا اليوم سبعين ألف من أهل المدينة وقيل أنهم كانوا ٢٠,٠٠٠ مسلم

وكانت هذه نهاية قصة أهل الأخدود

كان لدى أهل هذه البلدة وعي باستمرارية نعيم أهل الجنة من أحاديث الصبي فاختاروا النعيم المقيم .

أما الملك فقد عاش في نعيمه حتى جاءه جيش أبرهة الحبشي، فحاربه وانتصر عليه. ثم أخذ ذو نواس فرسه، وانطلق بها إلى البحر حيث لقي حتفه غريقًا، ولم تشفع له النار التي أشعلها يوم القيامة.

ليس بالضرورة أن نرى الحق منتصرًا دائمًا في الحال، وليس لازمًا أن نشاهد عقاب الله للظالم مباشرة. نحن في مسرحية لم ينتهِ فصلها الأخير، حيث يُسدل الستار يوم القيامة، فيستقر كل إنسان في مكانه: إما الجنة أو النار.

تعمدتُ أن أسرد القصة بهذه الطريقة دون أن أستشهد بآيات سورة البروج، أو أذكر أن رسول الله ﷺ حكاها للصحابة ليُربّي وعيهم ويقينهم بها. أردت إيصالها بأسلوب أقرب للواقع وأدقّ تفاصيلها. فلا يلزم أن نُرمى في الأخدود ذاته، فحتى الأسماء قد تختلف و لكل ظالم أخدوده الخاص به،ولكل صاحب قضية سهمه الذي يُصاب به.

والفرحة الحقيقية تكمن في لحظة إسدال الستار عن هذه الدنيا، والاستقرار في الآخرة.

بعض الآثار التي وردت عن هذه القصة:

في زمن عمر بن الخطاب: عُثر على قبر، وعندما فُتح، وُجد جسد الغلام واضعًا يده على صدغه. وكلما أُزيلت يده سال الدم من موضعه ثم تعود يده إلى مكانها. غير أن هذا الأثر غير مثبت، والله أعلم بصحته.

الأخاديد التي حدثت عبر التاريخ ثلاثة:

١. الأخدود في اليمن زمن تُبَّع.

٢. الأخدود في القسطنطينية زمن قسطنطين، حين حرّف النصارى دين المسيح عليه السلام، وألقوا المؤمنين في أتُون النار.

٣. الأخدود في العراق بأرض بابل زمن بختنصر، الذي نصب صنمًا وأمر الناس بالسجود له. وعندما رفض دانيال وصاحباه، أوقد لهم أتونا من النار، لكن الله جعل النار عليهم بردًا وسلامًا، ونجّاهم منها، فيما سقط فيها الذين سعوا لإهلاكهم.

رأي مقاتل:

الأخاديد الثلاثة كانت في:

نجران باليمن: قام بها يوسف ذو نواس.

الشام: في زمن أنطانوس الرومي.

فارس: في زمن بختنصر.

أما التي كانت في الشام وفارس، فلم ينزل الله فيهما قرآنًا. لكن الله أنزل ذكر الأخدود الذي وقع في نجران.

الحديث الوارد عن النبي ﷺ لم يُذكر فيه اسم الملك أو الفترة الزمنية، بل ترك تفسير ذلك للعلماء.

١٩

مائدة من السماء

في قرية تُدعى خربة سيلون في مدينة رام الله، وقف سيدنا عيسى عليه السلام ينظر إلى السماء ومعه الحواريون، ليرى غمامتين تتحركان تحملان مائدة تنزل من السماء.

حينها ارتجف قلبه وبدأ بالدعاء، سائلًا الله أن يجعلها رحمة لا نقمة، وسلامًا وبركة عليهم لا لعنة. ودنت المائدة شيئًا فشيئًا بين الغمامتين حتى استقرت أمام رسول الله عيسى عليه السلام.

ولكن، لماذا خاف سيدنا عيسى من استجابة دعوته؟ ألم يكن هو من دعا بإنزال المائدة بناءً على طلب الحواريين؟

بدايةً، من هم الحواريون؟ المتعارف عليه في قصص الأنبياء أن لكل نبي ورسول أصدقاء ومناصرين يحيطون به، ويصدقونه ويعينونه على مشقات الدعوة. وكان لدى سيدنا عيسى اثنا عشر رجلًا من تلاميذه وأصدقائه آمنوا به وأصبحوا من خاصته، وسُموا بالحواريين، كما كان لدى سيدنا محمد الصحابة رضي الله عنهم.

لكن هناك فرق كبير بين الصحابة والحواريين؛ فالصحابة كانت تأتيهم الأوامر، فيطيعونها دون تردد، ويصدقون كلام الله ورسوله دون الحاجة لطلب آيات أو معجزات، كما فعل الحواريون.

وبدأت القصة من هنا:

﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٥٢]

فأمرهم سيدنا عيسى عليه السلام بالصيام ثلاثين يومًا، ولما اقتربت أيام الصيام من نهايتها، طلبوا منه معجزة كما حدث مع أجدادهم من بني إسرائيل، وقالوا: لو تطلب من ربك أن يُنزل علينا مائدة من السماء لنزداد تصديقًا لك، وتطمئن قلوبنا بأن صيامنا قد قُبل، وليكون يوم نزولها عيدًا لنا.

﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة:١١٢]

لكن رسول الله عيسى عليه السلام كان يعلم جيدًا أن الآيات والمعجزات، إذا لم يؤدي القوم شكرها، ستكون عليهم وبالًا، وكان يريد أن يكون إيمانهم خالصًا لوجه الله، نابعًا من قلوبهم ويقينهم، وليس معجزة تُجبر القلب والعقل على التصديق.

وهذا مثل ما حدث مع سيدنا محمد ﷺ عندما طلبت قريش أن يدعو الله ليحول لهم الصفا ذهبًا، مقابل أن يؤمنوا به، فقال لهم رسول الله: «وتفعلون؟» قالوا: نعم. فدعا الله بذلك، فأتاه جبريل عليه السلام، وقال له: «إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابًا لم أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة»، فاختار رسول الله ﷺ باب التوبة والرحمة.

كان رسول الله يعلم من سيرة الأنبياء قبله كيف تكون العواقب عندما لا يُؤدى شكر المعجزة، وكيف أصابت بني إسرائيل بالتيه، وأممًا قبلهم بالطوفان والجراد والقمل والخسف والمسخ.

ولكن سيدنا عيسى تعلّق بأمل أن يؤمنوا، ويؤمن من بعدهم بنو إسرائيل، بالرغم من أنّه كان يملك من المعجزات ما يجعل الحجر يؤمن؛ فقد كان يبرئ الأكمه ويحيي الموتى، لكنه عانى كثيرًا منهم، شأنه شأن سائر أنبياء بني إسرائيل.

وبالعودة إلى الحواريين، قالوا: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة:١١٣]

ولّما استنكر عليهم عيسى طلبهم، قالوا إنهم يريدون فقط أن يطمئنوا ويشهدوا عليها أمام الناس، ويتأكدوا من أن صيامهم قد قُبِل.

وأصرّوا على طلبهم، وقالوا: «لماذا أُرسِلَ على بني إسرائيل المنّ والسلوى في صحراء التيه؟ نحن أيضًا نريد معجزةً وطعامًا من السماء.»

ولما ألحّوا عليه، بدأ سيدنا عيسى يتضرع إلى الله أن ينزل عليهم المائدة، فقال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤]

فقال الله تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥]

وبالفعل، استجاب الله لدعوته، لكنه شرط أن من يكفر بها سيُعذَّب عذابًا أليمًا.

وفي يوم، شاهدوا غمامتين أو سحابتين تتحركان وبينهما مائدة. وبدأ القوم الذين كانوا واقفين يتعجبون مما يحدث أمامهم، لكن رسول الله عيسى كان خائفًا من تبعات هذه المائدة، وحذّرهم من الكفر بها.

فكبّروا وهللوا وسجدوا لله شاكرين فضله.

ومن المؤكد أنه لا يمكن أن يكفروا بها وهم الذين طلبوها، وقد رأوها تقترب شيئًا فشيئًا، وعيسى يدعو، حتى استقرّت أمامهم وعليها منديل كبير يغطيها.

فكشف رسول الله هذا المنديل وقال: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤]

فكانت المائدة عظيمة، مكونة من سبع حيتان وسبع أرغفة، وعليها خلّ وملح ورمان وفاكهة ذات رائحة طيبة. تخيّل عيسى أن الحواريين سينقضون عليها، وهم حامدون لله، شاكرون لنعمه، ليُشبعوا بطونهم؛ لكنهم فاجأوه بسؤالهم: «هل هي من طعام الجنة أم من طعام الأرض؟!»

بعد كل هذا، ما زالوا يسألون؟!

هذا هو حالنا؛ نحن كثيرًا ما نستخفّ بالنعم حين تكون بين أيدينا، ولا نشعر بقيمتها إلا عندما تزول. وللأسف، هذا ليس طبع بني إسرائيل وحدهم، بل هو طبع بني آدم عامة؛ قلّة شكر النعمة حتى تزول.

تعتقدون، ما الذي حدث معهم؟

وبّخهم سيدنا عيسى، وقال لهم: «أما آن لكم أن تعتبروا بما ترونه من الآيات، وتتوقفوا عن كثرة الأسئلة؟ أخشى عليكم أن تعاقبوا بسبب هذه الآية. فكلوا مما طلبتم باسم الله، واحمدوا ربكم، يمدّكم منه ويزيدكم.»

ولكنهم ترددوا في الأكل! حتى إنّهم اقترحوا أن يبدأ أحدهم بالأكل قبلهم؛ إذ كانوا يرون أن يكون أحدهم الأول في الأكل أمرًا خطيرًا في عقيدتهم. فقالوا: «يا نبي الله، كن أنت من يبدأ بالأكل.»[1]

(١) الدر المنثور للسيوطي

فـردّ عليهـم عيسـى بتعجّـب: «معـاذ الله! مـن يبـدأ بـالأكل هـو مـن طلبهـا!» كأنهـم توقعـوا أنـه سـيأكل أولاً ليؤكـد لهـم سـلامة الطعـام.

وعندمـا امتنعـوا عـن الأكل خشـيةً مـن أن يكون نزولها نقمة، دعـا سـيدنا عيسـى الفقـراء والمـرضى، وقال لهـم: «كلـوا من رزق ربكـم ودعـوة نبيكـم، وابـدؤوا باسـم الله، واختموه بحمـد الله.» فـأكل منهـا ألـف وثلاثمئـة رجـل وامـرأة؛ فاسـتغنى الفقـير، وشـفى الله المـرضى، ولم يزالـوا أغنيـاء حتـى انتقلـوا مـن الدنيـا.

وكانـوا يأكلـون منهـا كلّـما جاعـوا حتـى يشـبعوا، ولم تنفـد المائـدة. وعندمـا ينتهـون، كانـت تُرفـع إلى السـماء مجـددًا. وقـال لهـم عيسـى: «هـي لكـم مقيمـة كل يـوم مـا لم تخبئـوا منهـا شـيئًا، أو تخونـوا، أو ترفعـوا منهـا، فـإن فعلتـم، فـإن الله سـيعذبكم عذابًـا شـديدًا.»

تخيلـوا، مائـدة تنـزل مـن السـماء عليهـم يوميًـا ليأكلـوا منهـا دون أن تنفـد، ومـع ذلـك شـعروا بالقلـق مـن انقطاعهـا، فأخـذوا منهـا وخبّـأوا ليـوم الغـد، فانقطعـت عنهـم بعـد ذلـك.

والشـاهد في القصـة هـو مـدى تفـاني أنبيـاء بنـي إسرائيـل في الدعـوة إلى الله، ومحاولاتهـم إرضـاء شـعبهم، ولكنهـم في النهايـة اسـتجلبوا لأنفسـهم العـذاب.

وقـد قيـل إن مـن أشـد النـاس عذابًـا يـوم القيامـة هـم المنافقـون، والذيـن لم يؤمنـوا بالمائـدة، وآل فرعـون.

وقبل أن ننهي القصة، يجب أن نذكر أن المفسرين اختلفوا في تفسير الآية؛ فمنهم من قال إن المائدة نزلت بالفعل من السماء، ومنهم من قال لا.

عندما سمع قوم سيدنا عيسى قول الله تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾[المائدة:١١٥]، شعروا بالخوف وتراجعوا عن طلب المائدة، فلم تنزل.

وقد أُشير إلى عدم ذكرها صراحةً في الأناجيل المسيحية.

ومع ذلك، فقد ورد ذكرها في بعض الأناجيل بتفسيرات مختلفة، حيث نُسب صنع الطعام إلى الحواريين أنفسهم أو إلى سيدنا عيسى، لكنهم اتفقوا على أن تلاميذ عيسى طلبوا منه المائدة.

٢٠

الخضر

هل هو حي بيننا حتى الآن؟

من هو هذا الشخص الذي لا يلمس شيئًا إلا ويصبح أخضرا يانعًا؟ ومن يمتلك علمًا يفوق علوم الأنبياء؟

تبدأ قصته عندما خرج أحد بني إسرائيل يسأل سيدنا موسى عليه السلام، قائلاً: «يا موسى، أي الناس أعلم؟» فإجابة موسى و كانت مباشرة: «أنا!»، ولكن الله عاتبه على ذلك، وقال له أن هناك من هو أعلم منه. فأحس موسى بالحرج وأراد أن يتعلم من هذا الشخص الذي تفوق علمه على علمه، فطلب من الله أن يوضح له كيفية الوصول إليه.

دله الله على الطريق وأمره أن يأخذ معه حوتًا في حقيبة من الخوص (مكتل)، وإذا فقد الحوت، فهذا يعني أن المكان الذي سيجده عند مجمع البحرين هو المكان المطلوب.

وفعلًا، حمل سيدنا موسى الحوت مع فتاه يوشع بن نون، وسارا في طريقهما حتى وصلا إلى صخرة، وهناك تعبوا من السفر وناموا. وفي تلك اللحظة، أراد الله أن يُحيي

الحوت في المكتل، فخرج منه وسقط في البحر، واتخذ طريقًا في البحر كالنفق، مما جعل الماء يحيط به كما لو كان طريقًا مسوكًا على جانبيه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف:٦٠]

بعد أن استيقظا، استمرا في طريقهما، ولكن يوشع نسي أن يخبر موسى عن فقدان الحوت. وكانا يسيران طوال اليوم والشمس قد غربت، وعندما وصلوا إلى نقطة معينة، طلب موسى من يوشع أن يجلب له الطعام لأنهما تعبا.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف:٦٢]

وعندها تذكر يوشع أن الحوت قد فقد في البحر، وأنه اتخذ مسارًا غريبًا داخل الماء. فرح موسى بتذكر هذه الإشارة، فتابعوا العودة إلى مكان فقدان الحوت.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف:٦٤]

وبعد رحلة العودة، وصلا إلى الصخرة، وهناك التقيا برجل عجيب، وهو الخضر، الذي كانت الأرض تحته قد تحولت إلى خضراء، بعدما كانت مجرد صخرة قاسية.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥]

حينما سلم موسى على الخضر، استغرب الأخير من التحية، فطلب موسى منه أن يعلمه مما علمه الله، فقال الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٦٧]

الخضر كان يعلم أن لديه علمًا لا يستطيع موسى أن يتفهمه، فرفض في البداية تعليم موسى، لكن موسى أصر على التعلّم.

قال الخضر لموسى:

«يا موسى، إنني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه. عندك علمك وعندي علمي، ونكتفي على ذلك.»

لكن موسى، الذي كان عازمًا على التعلم، لم يكن ليقبل أن يعود دون أن يتعلم من هذا الرجل الذي علمه الله علمًا خاصًا. فقال لنفسه: يجب أن أصبر على الخضر، حتى أتعلم منه.

فقال موسى للخضر:

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف:٦٩]

وافق الخضر على أن يصطحبه بشرط ألا يسأله عن شيء حتى يشرح له هو نفسه.

ثم بدأ موسى مع الخضر رحلتهما. أثناء السفر، مرت سفينة فطلبا من أهلها أن يحملوهم، فحملوهم بدون أجر، وعرفوا الخضر. ثم، في وقت لاحق، بدأ الخضر يسحب لوح خشب من السفينة. استغرب موسى وقال له:

«كيف تهدم السفينة التي حملتنا بدون أجر؟ أترغب في غرقهم؟»

ولكن الخضر قال له: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٥]

فقال موسى، محاولًا الحفاظ على الرحلة:

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣]

بعد ذلك، بينما هما يواصلان الرحلة، مروا بجانب عصفور صغير شرب من ماء البحر. فقال الخضر لموسى: «ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.»

ثم، بينما كانا يمشيان على الساحل، وجدا مجموعة من الغلمان يلعبون، وركز الخضر على أحدهم، وفجأة قتل هذا الغلام. فاستغرب موسى وقال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٧٤]

ولكن الخضر قال له مرة أخرى: «أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟»

استمر موسى في الإحراج، لكنه كان ملتزمًا بالشرط الذي وضعه الخضر. وقال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف:٧٦]

ثم واصلوا سيرهم حتى وصلوا إلى قرية طلبوا فيها الطعام، لكن أهل القرية رفضوا إطعامهم. وفي تلك القرية، وجدوا جدارًا مائلًا كان على وشك السقوط، فقام الخضر بتثبيته وإصلاحه. فتعجب موسى وسأله: «لماذا تبني الجدار لقرية بخلت علينا بالطعام؟ وإذا كنت ستبني، لماذا لم تطلب أجرًا؟»

فقال موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف:٧٧]

عند هذه النقطة، قال الخضر لموسى: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٨]

وفي النهاية، عندما نقل النبي محمد ﷺ هذه القصة، قال: «وَدِدْنَا أَنْ مُوسَىٰ صَبَرَ حَتَّىٰ نَقُصَّ اللهُ عَلَيْهِمَا.»

وبدأ الخضر يشرح لموسى أسباب أفعاله:

◆ **الأول: السفينة**

كانت السفينة تخص مجموعة من المساكين الذين يعملون في البحر، وكان هناك ملك أو مجموعة من القراصنة الذين يصادرون أي سفينة سليمة بالقوة. لذا، نجت السفينة من السرقة عندما تعرضت للضرر.

قال الله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]

◆ **الثاني: الغلام**

كان هذا الغلام عاصيًا وكافرًا، وكان كلما أقدم على فعل شيء خاطئ، كان والديه المؤمنين يتحملان نتيجة أفعاله. خشينا أن يؤدي طغيانه وكفره إلى ضياع دينهما، فكان من الأفضل أن يُستبدل بهما ولدا خيرًا منه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف:٨٠]

◆ **الثالث: الجدار**

كان الجدار في مدينة معينة، وكان يخص يتيمين كانا يعملان هناك، وتحت الجدار كان هناك كنز لهما. إذا انهدم الجدار، سيظهر الكنز وسيأخذه الناس.

قال الله تعالى:

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢]

كانت التفسيرات تشير إلى أن والدي هذين الغلامين كانا صالحين، ويقال إن هؤلاء الأبوين لم يكونوا هما الأبوان الأوليان، بل ربما كانوا من الأجداد. وفي هذا السياق، نجد أن أفعالنا لا تقتصر على أن تؤثر في أبنائنا فقط، بل قد يكون

لها تأثير أيضًا في أحفادنا. لذا، يجب أن نحذر وأن نحرص على أن نترك للأجيال القادمة ميراثًا صالحًا من الأعمال الطيبة.

وبذلك، انفصل الخضر عن سيدنا موسى، الذي أدرك في تلك اللحظة أن «فوق كل ذي علم عليم».

◆ **من هو الخضر؟**

الخضر هو عبد صالح أكرمه الله بالرحمة والعلم الذي لم يُعطَ لغيره من البشر. يقول العديد من المفسرين إن الرحمة التي أُعطيت له هي في الحقيقة نوع من النبوة.

أما نسبه، فليس هناك تحديد دقيق له، ولكن المفسرين قدموا عدة احتمالات غير مؤكدة. هناك من قال إنه لا يزال حيًا حتى الآن، وأنه أطول الأنبياء عمرًا. ولكن هناك قصة وردت في كتاب «البداية والنهاية» تقول إن طول عمره يعود إلى دعوة سيدنا آدم له.

ويقال إنه كان ابن آدم من صلبه، وكان اسمه «خضرون» بن قابيل بن آدم. وعندما حضر آدم موته، أخبر أبناءه بالطوفان القادم، وأوصاهم أن يحملوا جسده معهم في السفينة ويدفنوه في مكان معين بعد الطوفان. لكن أبناءه ترددوا في حمل جسده خوفًا من أن يكون المكان موحشًا. وعندما جاء الخضر، حمل جسد آدم ودفنه في الموضع الذي أوصى به، فاستجاب الله لدعوة آدم وأطال عمر الخضر.

أما بعض الأقوال الأخرى فتقول إنه كان ابن نوح أو حتى ابن فرعون، أو أنه كان من أشراف بني إسرائيل. هناك أيضًا رواية تقول إنه عندما كبر، مر بخلوة لرجل عابد وتعلم منه الإسلام.

وذكرت بعض المراجع أن الخضر وإلياس كانا أخوين وكان أبوهما ملكًا، وأن إلياس نصح أبيه بأن يزوج الخضر لامرأة لعلها تلد له ملكًا. ولكن الخضر كان لا يهتم بالنساء، وأكد أنه يريد عبادة الله. وكانت هذه الأحداث جزءًا من قصة معقدة، انتهت بأن الخضر اختار أن يعيش حياة العبادة.

وقد ورد ما يدل على أنه كان من بني إسرائيل في زمان فرعون؛ قال أبو زرعة في «دلائل النبوة» :

حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي، حدثنا الوليد، حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة عن مجاهد ، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب ، عن رسول الله ﷺ ، أنه ليلة أسري به وجد رائحة طيبة ، فقال : يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ قال:

هذه ريح قبر الماشطة ، وابنيها ، وزوجها

وقال : وكان بدء ذلك أن الخضر كان من أشراف بني إسرائيل ، وكان ممره براهب في صومعته فتطلع عليه الراهب ، فعلمه الإسلام ، فلما بلغ الخضر زوجه أبوه امرأة ، فعلمها الإسلام وأخذ عليها أن لا تعلم أحدا، وكان لا يقرب النساء ، ثم طلقها ، ثم زوجه أبوه بأخرى فعلمها الإسلام ، وأخذ عليها أن لا تعلم أحدا، ثم طلقها ، فكتمت إحداهما وأفشت عليه الأخرى، فانطلق هاربا حتى أتى

جزيرة في البحر ، فأقبل رجلان يحتطبان فرأياه ، فكتم أحدهما ، وأفشى عليه الآخر، قال : قد رأيت الخضر . فقيل ومن رآه معك؟

قال : فلان . فسئل فكتم ، وكان من دينهم أنه من كذب قتل فقتل وكان قد تزوج الكاتم المرأة الكاتمة ، قال : فبينما هي تمشط بنت فرعون ، إذ سقط المشط من يدها ، فقالت : تعس فرعون . فأخبرت أباها، وكان للمرأة ابنان وزوج

فأرسل إليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما ، فأبيا فقال : إني قاتلكما؛ فقالا : إحسان منك إلينا إن أنت قتلتنا أن تجعلنا في قبر واحد . فجعلهما في قبر واحد فقال: وما وجدت ريحا أطيب منهما، وقد دخلت الجنة وقد تقدمت قصة مائلة بنت فرعون ، وهذا المشط في أمر الخضر قد يكون مدرجا من كلام أبي بن كعب ، أو عبد الله بن عباس ، والله أعلم

وقال بعضهم : كنيته أبو العباس . والأشبه - والله أعلم- أن الخضر لقب غلب عليه .

وهناك حديث تفرد به البخاري أنه قال أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء ، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء تفرد به البخاري،

ومن الأحاديث المنكرة التي تم ذكرها عن الخضر أنه طويل العمر، وذلك لأنه شرب من ماء عين الحياة. وسيتم ذكر هذه القصة في قصة ذي القرنين إن شاء الله.

وأيضًا قيل إنه ذهب ليعزي في رسول الله ﷺ، وأنه وإلياس يجتمعان كل عام في موسم الحج.

ولكن كل هذه الأحاديث لم تثبت صحتها، ولم يُذكر منها شيء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ، حيث قال ذات ليلة بعد صلاة العشاء:

« أرأيتم ليلتكم هذه؟ فإنه بعد مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد».

وقال الله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء:٣٤].

وهذا دليل على أن الخضر، وإن كان بشرًا، فإنه يدخل في هذا العموم بلا شك، ولا يجوز تخصيصه بذلك إلا بدليل صحيح.

ولا نقول في الخضر إلا ما قاله الله في القرآن الكريم:

﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف:٦٥]

٢١

أصحاب الكهف

مؤسسة ألكور لتمديد الحياة

«Alcor Life Extension Foundation».

مؤسسة ظهرت مؤخرًا، ولها فروع متعددة، تهدف إلى تجميد الجسم البشري للحفاظ على وظائفه الحيوية لأطول فترة ممكنة، في محاولة لإحياء الجسم من جديد أو لتمديد الحياة.

تجري الآن محاولات لإجراء دراسات قد تمكن فئة معينة من البشر من تجميد أجسادهم على أمل أن يتمكنوا من العيش بعد الدمار الذي قد يصيب الأرض.

وللأسف، هناك من جمدوا أنفسهم في انتظار أن يجد المستقبل علاجًا لأمراضهم المستعصية، على أمل أن يتمكنوا من العودة، كما فعل آخرون في الماضي.

هل بالفعل عاد أحد منهم؟

بالطبع، هناك من ناموا لمدة ٣٦٠ عامًا ثم عادوا كما كانوا.

ولكنهم ناموا بتقنية «المشيئة الإلهية» التي لا يستطيع أحدٌ أن يماثلها حتى الآن. ومهما تقدمت التكنولوجيا، فلن تتجاوز إلا ما أراده الله ليوضحه للبشرية، ولن تصل إلى قدرة الله في البعث والخلود وإحياء الأموات من جديد.

فكيف بدأت القصة؟

عندما بدأ رسول الله ﷺ يدعو أهل مكة والقرشيين إلى الإسلام، وشككوا في مصداقية دعوته، أرسلوا رسلاً إلى المدينة ليستفسروا من اليهود والنصارى هناك عن محمد، باعتبارهم أهل كتاب، ولديهم ما يؤكد إن كان محمد رسول الله ونبيًا مرسلًا أم لا.

وقالوا لهم: اسألوه عن ثلاثة أشياء:

- عن قوم ذهبوا في الأرض ولم يعرف القوم ماذا حل بهم.
- عن ذو القرنين.
- عن الروح.

فرد عليهم رسول الله ﷺ قائلاً: «غدًا سأخبركم»، ولم يذكر المشيئة. وانتظر الوحي ليبلغه، ولكنه لم ينزل لمدة شهر كامل. وطبعا، شك أهل قريش في صدق دعوته واتهموه بالتخريف والجنون والادعاء.

وفي النهاية، نزل الوحي بالآية الكريمة التي تعلمنا درسًا جميعًا، وسيدنا محمد ﷺ بشكل خاص:

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف:٢٤]

ماذا كان الخبر اليقين؟

كانت هناك بلدة تعبد الأصنام وتقرب لها، وكان الضلال قد بلغ معهم أقصى حد، وكان يحكمهم ملك ظالم يطلب القرابين لأوثانهم.

تجمع الناس مع شبابهم وبناتهم، وكان من بينهم مجموعة من الشباب النبلاء، أبناء الملوك والأشراف. وكان من المفترض أن يكون تفكيرهم منصبًا على كيفية الاستمتاع بالسلطة والنفوذ والمال، فكانت حياتهم مليئة بالخروج والفسح واللعب، كما يحدث في أيامنا هذه.

لكن هؤلاء كانوا مختلفين؛ كان تفكيرهم منصبًا على كيفية تغيير العادات الضالة التي يرونها في أهلهم، وكيفية إرجاعهم إلى عبادة الله الواحد الأحد. لم يعجبهم عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تغني من جوع.

لم يعجبهم استبداد ملكهم وتحكمه فيهم وفي معتقداتهم. في الحقيقة، لم يكن هؤلاء يعرفون بعضهم البعض أو حتى أصدقاء، فكل واحد منهم كان يفكر بمفرده. كانوا يخرجون إلى البرية يتأملون ويتعبدون لله الواحد الذي خلق كل شيء.

وفي تلك الفترة، قرروا أن يبتعدوا عن المجتمع ويفروا بدينهم. هناك، التقوا معًا، وتجمعوا كجنود مجندة بأمر الله، يسوقهم لحكمة من عنده كما يشاء.

تتعدد الأقاويل عن طريقة خروجهم، ولكن يقال إنهم كانوا يدعون الناس إلى عبادة الله الواحد القهار، فطاردهم الملك. وكان ذلك في وقت تقديم القرابين للآلهة، وقد امتنعوا عن ذلك وخرجوا هاربين من العذاب.

لكن ما ذكرته الآية الكريمة يكفي:

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف:١٤]

وهكذا، قرروا أن يعتزلوا هؤلاء القوم، ويذهبوا إلى كهف يقيهم من الفتنة، ليتعبدوا لله ويطلبوا رحمته، وكانوا واثقين أن الله سيحميهم ويهيئ لهم ما يغنيهم عنهم.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف:١٦]

لم يذكر القرآن عددهم بدقة، ولكن الروايات تقول إنهم كانوا بين ثلاثة وسبعة، لكن العدد ليس مهمًا، ولا أسماؤهم مهمة، ما يهم هو ما فعلوه وما سيحدث لهم.

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٢٢]

هل يمكنكم تخيل شبابٍ من الملوك يتركون القصور والحدائق ونعم الله التي لا تحصى، ويلجؤون إلى كهف يتعبدون فيه لله؟ كان كهفًا من حجارة، وعند دخولهم فيه أصبحت سيرتهم خالدة في التاريخ وأصبحوا آية من آيات الله.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف:٩]

أول ما دخلوا الكهف قرروا أن يناموا وينتظروا ما سيحدث، تركوا كلبهم ليحرسهم، ودخلوا الكهف وناموا، وضرب الله على آذانهم وأبصارهم ثلاثمائة وتسعة أعوام.

وكانوا نائمين...

ولكنهم كانوا في أحسن صحة وأحسن حال. كان الله يقلب أجسادهم، وأعينهم تارة تغمض وتارة تفتح. إذا مررت بهم، كنت تحسبهم يقظين، وهم في الواقع نائمون، وكلبهم كذلك بسط ذراعيه. الشمس تدخل الكهف في الصباح إذا كانوا على يمينهم، وفي المساء إذا كانوا على يسارهم.

﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾ [الكهف:١٧]

في تلك الفترة، بحث أهلهم عنهم في كل مكان، وعندما لم يجدوا أي أثر لهم، نسوهم وسكتوا. تغيّرت الممالك ومرت الأعوام وتوالت الأزمنة، وهم على حالهم.

فجأة، استيقظوا جميعًا في وقت واحد، وبُعثوا من جديد، ولكنهم لم يكونوا يشعرون بمرور الزمن أو بما حدث خارج الكهف، إذ إن الحجارة هي الوحيدة التي تحتفظ بشكلها وتحفظ الأسرار.

سأل بعضهم بعضًا: «كم من الوقت نمنا؟» فأجاب أحدهم: «يوما أو بعض يوم.»

وعندما أحسوا بالجوع، أرسلوا أحدهم ليختبئ جيدًا ويذهب إلى السوق ليجلب لهم أفضل الطعام. كانوا معتادين على أطيب الأطعمة في قصورهم، فكل منهم أخذ ما معه من نقود وانتظروا صديقهم ليأتيهم بالطعام.

ولكن عندما خرج الفتى، فوجئ أن الطرق قد تغيرت، وأن الناس الذين قابلوهم لم يكونوا يعرفونهم، وكانت المدينة

مختلفة تمامًا، وكأن الزمن قد تغير. دخل السوق، ولاحظ الجميع مظهره الغريب، فقد كان يرتدي ملابس قديمة للغاية. وعندما حاول شراء الطعام، استغرب البائع من النقود التي كان يحملها، إذ كانت قديمة جدًا.

أخبره الفتى بحكايتهم، فذهب معهم إلى الكهف ليطلع أصدقائه على ما حدث. وعندما وصلوا، قبض الله أرواحهم جميعًا، فآمن الناس بما حدث لهم. اقترح البعض بناء قبة أو مسجد على مكان الكهف.

وهكذا انتهت قصة أهل الكهف الذين ناموا ثلاثمائة سنة وتسع سنوات أخرى. وعندما استيقظوا، قبضت أرواحهم قبل أن يجعلهم الناس أولياء يُعبدون من دون الله.

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء في الديانة المسيحية يُسمون «السبعة النائمون»، وكانوا في الفترة ما بين رفع سيدنا عيسى وميلاد سيدنا محمد، خصوصًا في عام ٣٨٧ ميلادي في عهد الملك دقيانوس. وهذا يثبت أن الأقوام عندما يموت نبيهم وتختفي المعجزات، يعودون إلى عبادة الأصنام والأوثان.

ومن خلال هذه القصص القرآنيّة، أدركتُ أن الله كان يربي فينا الإيمان الخالص له، ليشعر الناس بمعجزاته في داخلهم. الإسلام يملأ وجداننا بالآيات التي تُغنينا عن معجزات ملموسة، ويعلمنا اليقين والتصديق، ليكون ديننا في داخلنا مرشدًا بعيدًا عن الماديات التي تذهب إذا زالت.

وفي الإسلام، لم يُذكر عددهم أو أسماؤهم أو زمانهم لحكمة لا يعلمها إلا الله. وعادة ما يتم تلخيص القصص القرآنيّة بعيدًا عن التفاصيل التي قد تلهي القارئ عن الهدف الأساسي للقصة.

ابدأ بنفسك، وإذا لم تتمكن من تغيير من حولك، فغيّر نفسك.

كن أنت التغيير الذي تود أن تراه في العالم.

٢٢

المسيح الدجال

ستر تجف المدينة المنورة ثلاثة مرات ...
سيفزع أهلها ويفرون هاربين ..
ولكنها ستكون رجفات لتصفية الفاسقين والمنافقين..
ولا يخرج منها المؤمنين .
فهم يعرفون ماذا يحدث ؟!
ويعلمون ما سيحدث؟!
هذا هو ما أخبرهم به رسول الله من قبل.
يعرفون أنه سيقف على جبل أُحد فيقول
«هذا القصر الأبيض، هذا مسجد أحمد «
ويتجهز لدخولها هو ومن معه من اليهود، فيجدون الملائكة في انتظارهم متجمعين حول المسجد، رافعين سيوفهم في وجهه .
وحينها يتشجع شاب مؤمن تقي لمواجهته، فيخرج له فيستقبله اليهود بحفاوة ظنًا منهم أنه آمن معهم .

وعندما يعلمون أنه خارج ليتصدى لهم، سيريد بعضهم قتله، ولكن آخرون سيقولون: «لا إنه يريده «.

هل ستكون أنت هذا الشاب؟ أم سيكون ولدك ؟ أو ربما حفيدك

هل تربي جيلا يستطيع أن يتصدى لأقوى فتنة ستقع على الأرض.

انظر ماذا سيحدث لهذا الشاب قبل أن نخوض في غمار الفتنة ؟

سيقف هذا الشاب أمامه مباشرة، ليسأله بهيبته وجبروته ووجهه المظلم ويقول:

- هل آمنت بي ؟!

فينظر إليه الشاب ويقول: لا، بالطبع لن أؤمن بك.

ثم يلتفت هذا الشاب إلى الناس ليقول لهم :

- أيها الناس إنه الدجال وقد حذرنا منه رسول الله

فيأمر الدجال أن يُنشر الشاب إلى نصفين أمام أعين الناس، ثم يلتحم مرة ثانية. ويقول له:

- هل آمنت الآن ؟

فيقول الشاب:

- لا والله لم يزيدني ذلك إلا بصيرة ويقينا أنك الدجال الذي حذرنا النبي منك.

فيريد الدجال قتله مرة ثانية فلا يستطيع، وفي النهاية يأمره أن يدخل إلى ناره فيدخل الشاب ناره فإذا هي جنة الله.

هذه هي الفتنة التي حذرنا رسول الله منها وأراد أن يحمينا منها فعرض علينا خبرها كاملًا وقال:

« إن خرج وأنا فيكم فأنا حجيجه وإن يخرج ولست فيكم فكل امرؤ حجيج نفسه . «

هل تستطيع بإيمانك ويقينك أن تقف أمامه، إنها فتنة يقين، ستغربل المؤمن حقًا، ومن في قلبه شك حتى ولو بمقدار ذرة سيقع ويغوص في الفتنة، النار التي أصلها جنة والجنة التي أصلها نار .

إن ما سيقوم به الدجال ليس أمرًا هينًا، ولن يتجاوز ذلك إلا من كان لديه يقين وإيمان حقيقي.

لنعد إلى زمن سيدنا رسول الله محمد ﷺ، خاتم الرسل.

وفي الواقع، كون سيدنا محمد ﷺ هو خاتم الرسل يعد علامة من علامات اقتراب يوم القيامة ونحن نتحدث عن ١٤٠٠ عام قد مرت.

نعود مرة أخرى إلى زمن رسول الله ﷺ، خاصة عندما توجه إلى المدينة وأخبره جبريل عليه السلام عن الدجال، فبدأ يعرّف الصحابة به؛ فتبادل الصحابة النظرات وتعجبوا، وأخبروا رسول الله ﷺ أن هناك صبيًا يهوديًا تتوفر فيه جميع الصفات

التي ذكرها رسول الله عن الدجال.[١]

فقال لهم رسول الله ﷺ: «اذهبوا واسألوا أمه عن مدة حمله»، فأخبرتهم بأنها كانت ١٢ شهرًا.

فعادوا وسألوها عن صفاته عندما وُلد، فقالت لهم: «كان يبكي بكاء طفل في عمر شهر».

وعندما نظروا إليه، وجدوه فعلاً أعورًا، وكان يحمل جميع الصفات التي وصفها لهم رسول الله ﷺ.

وحتى أنه لم يُنجب والداه غيره بعد ٣٠ سنة من الزواج.

فبدأ رسول الله ﷺ يشك في الأمر، وتردد في الذهاب إليه. ولكن في يوم من الأيام ذهب إلى هذا الولد، الذي كان يُدعى صافِ أو عبد الله، وكان يطلق عليه ابن صياد.

وعندما اقترب منه، كان الطفل يتحدث مع نفسه، فأحب رسول الله ﷺ أن يعرف ماذا يقول في تلك اللحظة، لعله يتأكد إذا كان هو الدجال أم لا.

لكن أم الولد نادته من بعيد وقالت: «يا صافِ، هذا محمد، هذا محمد».

فصمت الطفل، فقال النبي ﷺ: «ويل لها، لو تركته، لبيّن الله صفته لي».

---

(١) حديث بن صياد ورد في الصحيحين(رواه البخاري: ١٣٥٤، ومسلم: ٢٩٢٤).

كان هـذا الولـد غـير طبيعـي، كان يمتلـك قـدرات غيبيـة وأفعـالًا شـيطانية ونظـرات غريبـة، وكان يتنبـأ بالمسـتقبل.

وحتـى أن رسـول الله ﷺ أراد أن يتأكـد منـه، فذهـب إليـه وأمسـك بيـده وقـال: «يـا صبـي، أتشـهد أني رسـول الله؟»

فنظَر الصبي إلى النبي وقال: «أتشهد أني رسول الله؟»

وكان فعـل الولـد غريبًـا، فعنفـه رسـول الله ﷺ وقـال لـه بحـزم: «أتشـهد أني رسـول الله؟»

فردد الطفل مرة ثانية: «أتشهد أني رسول الله؟»

وكان الطفـل يفهـم جيـدًا مـا يقولـه، وكان يكـرر هـذه العبارة في كل مـرة، حتـى قـال النبـي ﷺ: «آمنـت بالله ورسـله».

فـكان رسـول الله ﷺ يختـبره، لأنـه بـدأ يشـك في أمـره، فسـأله النبـي ﷺ: مـاذا ترى؟

فأجاب الولد قائلاً: «يأتيني صادقًا وكاذبًا».

فعرف النبي ﷺ أنه الشيطان، فسأله عن خبيئته.

وفي تلـك اللحظـة، نزلـت سـورة الدخـان عـلى رسـول الله ﷺ ولم يخـبر بهـا الصحابـة، فأحـب أن يختبرهـم بهـا. فسـأله النبـي ﷺ:

خبأت لك خبيئة، فماذا تعرف عنها؟

فقال الولد: «طفل الدخّ».

فقال النبي ﷺ: «اخسأ، فلن تعلو قدرك، هذا حقك».

ظل رسول الله ﷺ مشككًا فيه، فقد عرف أنه شيطان ولكن لم يكن متأكدًا إذا كان هو المسيخ الدجال أم لا. ومع ذلك، كان الصحابة يقسمون أنه الدجال مما كانوا يشاهدونه من علامات على الصبي.

ومرت السنين، وكبر ابن صياد بأفعاله الغريبة وهيئته المريبة، إلا أنهم قالوا إنه أسلم وحارب مع رسول الله ﷺ، لكنه بقي شخصية مثيرة للخوف، وكان الصحابة يشكون في أمره، ويشعرون أنه منافق.

ذات يوم، رآه ابن عمر فسأله:

متى مسحت عينك؟

فأجاب: «لا أعرف».

فقال له: «كذبت، كيف لا تعرف وهي في رأسك؟»

فغضب ابن صياد وانتفخ، وظل ينتفخ حتى أغشي على ابن عمر، فعاد إلى أخته حفصة التي غضبت عليه وقالت له:

ماذا فعلت؟ ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول إن الدجال سيخرج من غضبه؟

كان ابن صياد يعلم ما يقال عنه، وأحيانًا كان يتضايق من كلام الناس، لكنه كان أيضًا غريبًا في تصرفاته.

روى أبو سعيد الخدري فقال:

نزلنا في منزل، فتفرق الناس، وبقيت أنا وهو. فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يُقال عنه. ثم جاء بمتاعه ووضعه مع متاعي. فقلت له: «إن الحر شديد، فلو وضعت متاعك تحت تلك الشجرة». فقال: «ففعل».

فرفع لنا غنم، ثم انطلق وجاء بعس (حاوية اللبن)، فقال: «اشرب يا أبا سعيد».

فقلت: «إن الحر شديد واللبن حار، ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن يده» أو كما قال: «أخذته عن يده».

فقال: «يا أبا سعيد، لقد هممت أن آخذ حبلاً فأعلقه بشجرة ثم أختنق مما يقول لي الناس. يا أبا سعيد، من خفي عليه حديث رسول الله ﷺ، ما خفي عليكم أنتم معشر الأنصار. ألست من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ؟»

قال أبو سعيد: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «هو كافر، وأنا مسلم»

أليس قد قال رسول الله ﷺ: «هو عقيم لا يولد له، وقد تركت ولدي بالمدينة»

أليس قد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل المدينة ولا مكة، وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة»

قال أبو سعيد: قد كدت أن أعذره.

ولكن ابن صياد قال: أما والله إني لأعرفه، (الدجال) وأعرف مولده وأين هو الآن.

قال أبو سعيد: قلت له: تبًا لك سائر اليوم.

لم يُجزم أحد بموت ابن صياد؛ فبعضهم قال إنه مات ودفن في المدينة، وآخرون قالوا إنه هرب، وبعضهم قال إنه اختفى.

هل هو فعلاً المسيح الدجال؟ من غير المؤكد، لكنه كان من الدجاجلة الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ حين قال:[١]

«لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله.»

ثم جاء رجل نصراني يُدعى تميم بن أوس الداري إلى رسول الله ﷺ، وكان تميم قد ركب البحر مع ثلاثين من قومه للتجارة، وفجأة لعبت الأمواج بهم لمدة شهر حتى وصلوا إلى جزيرة؛[٢]

استقبلتهم على تلك الجزيرة كائنات غريبة، كانت كلها مغطاة بالشعر بحيث لا يُعرف وجهها من ظهرها. عرفتهم عن نفسها وقالت: «اسمي الجساسة»، ثم أشارت لهم إلى دير في الجزيرة وقالت لهم: «اذهبوا إلى هذا الدير، ستجدون رجلاً كان في انتظاركم منذ فترة طويلة.»

(١) رواه البخاري في كتاب «المناقب» باب «علامات النبوة في الإسلام». (البخاري: ٣٦٠٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب «الفتن وأشراط الساعة»، باب «قصة الجساسة». (مسلم: ٢٩٤٢).

عندما دخلوا إلى الدير، وجدوا رجلاً عظيمًا لم يروا مثله في حياتهم، كان مقيدًا بالأغلال من قدميه إلى رقبته. بدأ هذا الرجل يسألهم:

«أخبروني عن نخل بيسان.»

قالوا: «عن أي شأنه تسأل؟»

قال: «أسألكم عن نخلها، هل يُثمر؟»

قالوا: «نعم.»

قال: «أما إنه يوشك أن لا يُثمر.»

ثم سأل عن بحيرة الطبرية:

«هل فيها ماء؟»

قالوا: «هي كثيرة الماء.»

قال: «أما إن ماءها يوشك أن يذهب.»

وسأل عن عين زغر:

«هل فيها ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟»

قالوا: «نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها.

ثم سأل عن نبي الأميين:

«ماذا فعل؟»

قالوا: «قد خرج من مكة ونزل يثرب.»

قال: «أقاتله العرب؟»

قالوا: «نعم.»

قال: «كيف صنع بهم؟»

فأخبروه أن «قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه.»

فقال: «أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه.»

ثم قال:

«إني أنا المسيح، وإني لأوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسيّر في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتُها في أربعين ليلة غير مكة والمدينة، فإنهما محرمتان عليّ، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملكٌ بيده سيفٌ صلتٌ يصدني عنها، وإن على كل نقبٍ منها ملائكةً يحرسونها.»

لقد انتهى تميم الداري من سرد ما حدث معهم بعد أن أسلم، فهرج رسول الله ﷺ وأخبر الصحابة عن خبر الدجال.

لكن السؤال يبقى: من أين سيخرج الدجال، وفي أي جزيرة كانت؟

رسول الله ﷺ أخبر أن الدجال سيخرج من أرض في المشرق يقال لها خراسان، تحديدًا من قرية يهودية في أصفهان (التي تقع في إيران)، وسيخرج معه سبعون ألفًا من يهود أصفهان.

متى سيخرج الدجال؟

الدجال سيظهر في زمن انتصار المسلمين، حيث سيتحد المسلمون مع الروم في قتال ضد عدو مشترك، وبعد أن يحققوا النصر، سترتفع الصلبان ويُعلن عن انتصار الروم،

مما سيغضب المسلمين ويبدأون حربًا ضدهم ويحققون النصر. ولكن في وقت فرحهم بالنصر، سيتردد خبر خروج المسيح الدجال، مما سيؤدي إلى فتنة عظيمة.

وفي تلك الفترة، سيخرج عشرة فرسان من جيش المسلمين، وهم أفضل الفرسان على وجه الأرض، ليتحققوا من صحة الخبر. سيتم وصف الدجال بأنه شخص جسيم، أحمر اللون، قصير، عريض ما بين الرجلين، أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافئة، والعين اليسرى ناتئة عليها قطعة لحم. مكتوب بين عينيه «ك ف ر»، يراه كل مؤمن قارئ وغير قارئ.

صفات الدجال:

خطواته سريعة، مثل الغيث.

يفتن الناس ويقول: «أنا ربكم الأعلى، أنا أحيي وأميت»، ومعه جنة ونار.

معه نهران، أحدهما ماء أبيض، والآخر نارًا، وبحسب ما يشربه الناس، يتحول إلى عذب أو نار تأكل داخله.

معه قدرات خارقة، مثل أمر السماء بالمطر، الأرض بالنبات، كنوز الأرض تخرج، وإحياء الموتى.

الدجال سيبقى على الأرض أربعين يومًا:

يوم كسنة.

يوم كشهر.

يوم كجمعة.

بقية أيامه كأيامنا هذه.

كيف يتخطى المسلمون فتنة الدجال؟

١. التعليم والتحذير: يجب على المسلمين أن يعلّموا أنفسهم وأبناءهم عن الدجال، خاصة مع قلة الحديث عنه في المساجد.

٢. الاستعاذة بالله: يجب على المسلمين أن يستعيذوا من فتنة الدجال في صلاتهم، كما علمنا رسول الله ﷺ.

٣. حفظ العشر الآيات الأولى من سورة الكهف: لحماية النفس من فتنة الدجال.

٤. الابتعاد عن الدجال: إذا سمع المسلم عن الدجال، يجب عليه أن يبتعد عنه، لأنه قد يُفتن حتى من يظن أنه مؤمن.

وفي النهاية، عندما يظهر الدجال، سيُسعى له ويتبعه كثير من الناس، لكن الله ﷻ سيبعث عيسى بن مريم عليه السلام، ليقتل الدجال ويُحرر الناس من شره، في باب لد ببلاد الشام.

نسأل الله أن يعافينا من فتنة الدجال، وأن يثبتنا على الإيمان.

٢٣
يأجوج ومأجوج

كلمة السر؟!

إن شاء الله...

نعم، هذه هي الحقيقة.

لن يخرجوا إلا عندما يقولون: «إن شاء الله».

عجيب، أليس كذلك؟

عندما كنت صغيرة، كنت أتعجب جدًا من الرجال في صلاة الجمعة وهم يزلزلون المسجد بالتأمين، وعندما سألت عن ذلك، قيل لي معلومة عجيبة: كلما رفعوا أصواتهم، تغلق الفتحة التي فتحت في سد يأجوج ومأجوج، ويُردم عليهم من جديد.

وكطفلة ساذجة صدقت ذلك، وأصبحت أحب صوت تأمين الرجال وأستبشر بعلوه، الذي كان يصلني وأنا في المنزل. كنت أحزن عندما ينخفض الصوت وتقل أعداد المصلين في صلاة الجمعة، وأبدأ في القلق: هل يأجوج

ومأجوج يجهزون أنفسهم للخروج؟ هل ينادي بعضهم على بعض، رجالهم لنسائهم، شبابهم لصغارهم؟ هل يستعدون للخروج؟

لكن عندما بدأت في معرفة الحقيقة، أدركت كيف أننا نشوه عقول أطفالنا بأفكار لا أساس لها من الصحة، ونحاسبهم على تطبيقها عندما يكبرون.

لذلك، دعونا نبدأ في إعطاء أطفالنا كبسولات ثقافية صحية تقوي مناعتهم الثقافية من أي شوائب تستهدف وعيهم.

من هم يأجوج ومأجوج؟

تعالوا، سأخبركم، لكن لا تتفاجأوا.

في الحقيقة، يأجوج ومأجوج هم قريبون منا جدًا...

هل تعلمون أنهم أبناء عمومتنا؟

نعم، إنهم أبناء عمنا يافث بن نوح.

ألم نكن جميعًا أبناء جدنا نوح بن آدم؟ وكان لنوح أربعة أبناء، غرق واحد منهم، ونجا الآخرون: حام، سام، ويافث.

- سام هو أبو العرب.
- حام هو أبو السود.
- ويافث هو أبو الترك.

نعم، انتظروا!

يعني هذا أن يافث هو أبو الترك وليس يأجوج ومأجوج،

يأجوج ومأجوج هم طائفة من الترك، وهم مغول المغول.

المغول هم الطغاة الأكثر فسادًا في تاريخ البشرية.

يأجوج ومأجوج كانوا أكثر فسادًا وتجبرًا وخرابًا وظلمًا على الأرض منهم.

لكننا ما زلنا لم نعرف كيف أنهم من الترك.

اقرأوا معي لتفهموا...

يأجوج ومأجوج هما قبيلتان ضخمتان، أعدادهم هائلة جدًا، وطغيانهم منتشر، يتناسلون بحيث لا يموت أحد منهم إلا وقد ترك من خلفه ألفًا من ذريته.

هل تستطيعون تصور أعدادهم؟

الله ﷻ، في يوم القيامة، سيقول لآدم:

«يا آدم»، فيقول: «لبيك وسعديك والخير في يديك».

ثم يقول الله: «أخرج بعث النار».

فيقول آدم: «وما بعث النار؟».

فيقول الله: «من كل ألف، تسعمائة وتسعة وتسعين».

خاف الصحابة، فقالوا: يا رسول الله، من سيكون هذا الواحد؟

فقال رسول الله ﷺ: «أبشروا، فإنه منكم رجل، ومن يأجوج ومأجوج ألف».[1]

(١) (رواه البخاري: ٤٧٤١، ومسلم: ٢٢٢/ ٢٢٢٨).

لكن، ماذا عن أشكالهم؟ هل هي فعلاً غريبة كما يقال؟

أشكالهم عادية تمامًا، إلا أنهم قد يكونون طوالًا بعض الشيء، وعُراضًا، لأنهم من نسل نوح بن آدم، الذي كان طوله ستون ذراعًا، وسيتناقص الخلق من بعده.

أما شكلهم، فهو يشبه التتار والمغول: عيونهم ضيقة، ووجوههم عريضة، وأشكالهم كالمطارق.

لقد فسدوا في الأرض فسادًا عظيمًا، وكانوا يخرجون على القرى فيدمرونها ويتسلطون على أهلها.

حتى أن أهالي تلك القرى، الذين فروا منهم، اشتكوا لذي القرنين

قالوا: «يا ذا القرنين، إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك خرْجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًا؟».

كان ذو القرنين ملكًا عادلًا قويًا، ملك مشارق الأرض ومغاربها، وقالوا له: نريد أن نتخلص من هؤلاء، فاصنع بيننا وبينهم سدًا. وبالفعل، أقام بينهم سدًا منيعًا لم يستطيعوا الهروب منه حتى الآن.

ويقال أن بعضهم ظلوا في الخارج، لذلك سُموا «تُركًا».

هل بدأتم تفهمون الآن لماذا نقول إنهم قد يكونون التتار والمغول بكل تجبرهم؟

(الرأي هذا موجود في كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير).

السد كان في منطقة بين جبلين، وكان هذا هو المدخل والمخرج الوحيد لهم. وعندما حاولوا الانتشار في الأرض كعادتهم، اكتشفوا السد، وحاولوا بشتى الطرق الهروب منه، لكنهم فشلوا. فكل يوم كانوا يحفرون محاولين الهروب، وفي كل يوم كان السد يُردم عليهم، لكن في يومٍ ما، حدثت المفاجأة.

يومها، سيأذن لهم بالخروج، ويقول لهم القائم عليهم: «اتركوا ما حفرتم وسنعود غدًا لنكمل إن شاء الله».

وعندما يعودون في اليوم التالي، سيجدون الحفر كما هي، وسيكملون الحفر حتى يتمكنوا من الخروج.

لقد فهمتم الآن لماذا قلت أن كلمة السر هي «إن شاء الله».

لكن ماذا سيكون شكل الأرض حينذاك؟ وفي أي زمان سيكون هذا؟

في ذلك الوقت، ستكون العلامات الكبرى ليوم القيامة قد بدأت. وقد خرج الدجال، ونزل سيدنا عيسى لمحاربته، وسينتصر عليه، وسيلتف حوله المؤمنون به.

ولكن الله ﷻ سيحذرهم كما ورد في الحديث عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، قال:[1]

ذكر رسول الله ﷺ الدجال، ثم قال:

(١) (رواه مسلم: ٢٩٣٧)

«... فبينما هو كذلك، إذ أوحى الله إلى عيسى:

إني قد أخرجت عبادًا لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرّز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون. فيمر أوائلهم على بحيرة الطبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء...»

سيجمع سيدنا عيسى المؤمنين معه، ويختبئون في جبل الطور. وفي تلك اللحظة، سيخرج يأجوج ومأجوج:

«وهم من كل حدب ينسلون».

سينتشرون في الأرض ويخرجون على الناس من كل مكان.

يمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون منها، ثم يمر آخرهم فيقولون: «لقد كانت هنا مرة ماء».

ستجف مياه البحيرة منهم.

سيدنا عيسى وأصحابه سيحاصرون في الجبل، ويقول الحديث: «ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم».[1]

سيظن قوم يأجوج ومأجوج أنهم انتصروا على أهل الأرض جميعًا، بل سيظنون أنهم انتصروا على أهل السماء أيضًا، فيرمي أحدهم سهامه إلى السماء، فتعود ملطخة بالدماء، فيظنون أنهم ملكوا الأرض والسماء.

هل يعرفون أن هناك سماءً؟ هل وصلتهم دعوة الإسلام؟

(١) (رواه مسلم: ٢٩٣٧)

دعوني أشارككم أمرًا استمتعت بمعرفته؛ لا أعلم لماذا، ربما لأن العديد من الناس ماتوا في فترة ما، أو ربما لأنني أتمنى أن يجتمع رسول الله مع أهله في الجنة.

لا يوجد قوم عذبوا في النار إلا وقد كفروا بالله ورسوله المبعوث إليهم.

(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا).

بالطبع، الله لن يعذب أمة جاهلة أو في فترة.

لكن كيف سيحاسب أهل الفترة؟ وكيف سيتعذبون؟

فعن الأسود بن سريع رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:

«أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في الفترة. فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: رب جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول. فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار. فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا.»[1]

سيعرض عليهم الدين في معرض الآيات يوم القيامة، فماذا سيكون جوابهم؟ وأي برهان بعد كل ما سيرونه سيؤمنون؟

(١) رواه أحمد في مسنده: ١٦٣٤٤، وابن حبان في صحيحه: ٧٣٥٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ١٤٣٤

بالتالي، كفر يأجوج ومأجوج هو ما سيجعلهم حطب جهنم يوم القيامة.

رجعنا للمؤمنين مع سيدنا عيسى المحاصرين في جبل الطور، بينما يأجوج ومأجوج يفسدون في الأرض، ويظنون أنهم انتصروا على أهل الأرض والسماء.

في تلك اللحظة، لن يكون أمام سيدنا عيسى إلا الدعاء عليهم.

وسيرسل الله دودة معروفة، تسمى «النغف»، وهي دودة تصيب الحيوانات وتقتلها. وبالفعل، ستفني هذه الدودة يأجوج ومأجوج عن آخرهم.

تخيلوا، بينما نقرأ الآن عن أقوى وأعتى الأمم في الأرض، الذين يعملون بكل قوتهم في محاولة للخروج، والسد هو الذي يمنعهم عنّا.

قوم جبابرة مفسدين، ستقضي عليهم دودة، وما الغريب في هذا؟ فالبعوضة قتلت النمرود، وكأن الله يرسل رسالة للطغاة المفسدين في الأرض أن نهايتهم ستكون بأصغر كائن لا يعيرون له اهتمامًا، وهذه هي قدرة الله في خلقه.

ثم هلكت أمة يأجوج ومأجوج، وخرج عيسى عليه السلام والمؤمنون معه، ولكن الأرض امتلأت حينئذ بجثثهم النتنة؛ فسيلقي الله طيرًا من السماء يحمل جثثهم ليرميها في البحار، ثم يتبعها مطرا من السماء يطهر الأرض من روائحهم.

وتغسل الأرض حتى تصبح كالمرآة في نظافتها، ثم يقال لها: «أنبتي ثمرتك ورده بركتك.»

فينزل البركة في الثمرات والدر، حتى إن اللقحة من الإبل تكفي الفئات من الناس.

وفي هذه الأثناء، يبعث الله ريحًا طيبة تأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتصرفون فيها تصرف الحمير، فعليهم تقوم الساعة.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٧]

وكانت هذه قصة يأجوج ومأجوج من البداية إلى النهاية. وللذكر، مكانهم لا يزال مجهولًا على الرغم من بعث الكثيرين الذين جابوا أنحاء الأرض بحثًا عنهم، وهناك من وجد سدًا مشابهًا لسد ذي القرنين، لكن كلها تبقى افتراضات.

٢٤

ذو القرنين

استفاق الخليفة العباسي الواثق بالله بن المعتصم في أحد الأيام مفزوعًا من نومه على حلم مفاده أن سد ذي القرنين قد فُتح.

وفي تلك اللحظة، وصل رحالة مشهور يُدعى سلام الترجمان، الذي كان يتقن حوالي ثلاثين لغة، وأوصاه الخليفة بالذهاب إلى السد للتحقق مما إذا كان قد فُتح بالفعل أم لا.

وقد اشتهر سلام الترجمان برحلته إلى سد يأجوج ومأجوج، وكتبت عنه العديد من الكتب مثل «مسالك الممالك» التي ألفها الحافظ أبو عبد الله الذهبي.

أخذ سلام قافلته وانطلق ومعه رسائل إلى الملوك الذين سيتخطاهم في طريقه، كانت تلك الرسائل تهدف إلى تسهيل مهمته، حيث يخبره من يمر عليه عن حال السد.

مرَّ سلام عبر أراضٍ مظلمة وقرى مهدمة، وعندما سأل عن السبب، أخبروه أن هذه هي القرية التي كانت تخرج منها يأجوج ومأجوج. وبعدما وصل إلى السد، تعجبوا من

بنيانه الشاهق الذي لا يمكن للعين أن تصل لنهايته، وكان مصنوعًا من الحديد المخلوط بالنحاس، وبابه عظيم مغلق بأقفال، إضافة إلى أنه كان بناء محكمًا ومتينًا. وقالوا إنه لا يزال هناك حرس من ملوك تلك البلاد يقفون أمام السد يطرقون عليه في الصباح والمساء ليخيفوا من بداخله.

وقد ذكروا أن موقع السد يقع في أقصى شرقي الأرض في جهة الشمال، في زاوية من الأرض الشمالية الشرقية، وتحديدًا في بلاد شرق آسيا.

ومن الأمور المثيرة في هذه الرواية أن أهل إحدى القرى المجاورة للسد أكدوا أنهم شاهدوا بعضًا من يأجوج ومأجوج يحاولون تسلق السد، وعندما وصلوا إلى قمة السد سقطوا. وعند الحديث عن طبيعة بناء السد، يتبين أنه بني بطريقة تجعل تسلقه أمرًا في غاية الصعوبة، ولا يمكن حتى وضع سلم عليه.

بالطبع، اختلف المؤرخون حول هذه القصة، وإذا كانوا قد وصلوا بالفعل إلى السد، فلماذا لا نعرف مكانه حتى الآن؟ لماذا لم يتم تصويره عبر الطائرات؟ كيف يعيشون؟ كيف يأكلون؟ هل هم قوم مثلنا أم أنهم وحوش؟

إنه من الصعب تخيل أن الحكومات ستترك مثل هذا المكان دون أن تبحث عنه.

وهذه كانت مثالًا لملك رأى حلمًا ينذر بخطر يهدد العالم كله، فبقي في مكانه وأرسل ناسًا للتحقق، ولكن الحقيقة تبقى غير واضحة، فقد يكون هذا السد نفسه هو سور الصين العظيم كما اختلط الأمر على البعض.

ولكن، تخيلوا أن من بنى هذا السور المثير للدهشة قد يكون مجرد عبد صالح أو ملك كما ورد في بعض الروايات.

ويقال إن ملكا الأرض الصالحين هما سليمان وذي القرنين، بينما الكافران هما النمرود وبختنصر.

أريد أن أتحدث عن ذو القرنين كملك، وسنتعرف على سر أن الله ﷻ تحدث عنه بقوله:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٨٣]

إنه شرف عظيم أن يذكر الله هذا الرجل، فما الذي فعله ليذكره الله ﷻ؟ دعوني أخبركم.

في البداية، اختلف المفسرون في نسبه واسمه، فقال بعضهم إنه الإسكندر الأكبر، وهذا غير معقول لأنه كان وثنيًا، بينما كان ذو القرنين مسلمًا صالحًا. وقال البعض إنه من ملوك حِمير في اليمن وأمه كانت رومانية.

ولكن لا يهمنا ذكر نشأته طالما أن القرآن لم يذكرها.

واختلفوا أيضًا في سبب تسميته بـ «ذي القرنين». فقال بعضهم إن رأسه كان يشبه القرنين، وقال آخرون إنه كان له قرنان من نحاس في رأسه.

أما الأرجح فهناك قولان: الأول أنه بلغ قرني الشمس، أي غربًا وشرقًا، وملك ما بينهما من الأرض، والثاني أنه حكم قرنين من الزمان.

لكن ما يهمنا من هذه القصص هو الحكمة التي فيها، وليس المعلومات التي قد لا تفيدنا.

كان ذو القرنين رجلًا عادلًا حكيمًا، أتاه الله من فضله وكرمه، فاستغل ذلك في خدمة دينه. لم يقتصر على العرش بل أرسل جيشًا جاب به الأرض من مشرقها إلى مغربها، يدعو الناس إلى الله ويحقق العدل بينهم.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٤]

أي أن الله أعطاه كل الأسباب التي من خلالها يمكنه الوصول إلى هدفه في المملكة. وقد استخدم هذه الأسباب في جلب ما يحتاجه من الإقليم الذي مر به لدعم جيشه.

يقال إن ذو القرنين مكث ١٦٠٠ سنة يجوب الأرض ويدعو الناس لعبادة الله. لكن مدة رحلاته لا تفيدنا ما دام القرآن لم يذكرها.

عندما وصل ذو القرنين إلى مكان مغرب الشمس، وجد قومًا لا يعبدون الله، وقد خيره الله بين أن يعذبهم أو يعاملهم بالإحسان، فكان عدلاً في حكمه:

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف:٨٧]

كان ذو القرنين يدعو الناس إلى الإيمان بالله، ولم يتوانَ عن نشر العدل في الأرض.

وفيما يتعلق بمسألة الإسرائيليات، فإن هناك من يروي أن الخضر كان مع جيش ذو القرنين، وآخرون يقولون إن له صاحبًا من الملائكة يدعى رناقيل.

فسأله ذو القرنين: «هل تعلم في الأرض عينًا تُسمى عين الحياة؟»، فأخبره الملك بمكانها، فذهب ذو القرنين في طلبها وأرسل الخضر في مقدمة الجيش، فبلغ الخضر إليها في وادٍ يقع في أرض الظلمات، فشرب منها، ولكن ذو القرنين لم يتمكن من الوصول إليها.

ومن المؤكد أن هذه الروايات لا يمكن الاعتماد عليها كحقائق ثابتة، ولكن ينبغي ذكرها.

وبغض النظر عن صحة هذه الروايات، إلا أنها تذكر، ولكن ما يهمنا هو أن ذو القرنين استمر في مسيرته لنشر العدل.

وماذا فعل ذو القرنين بعد انتهائه من قوم مغرب الشمس؟ سلك طريقًا عبر من مغرب الشمس إلى مطلعها، وكان كلما مرّ بأمةٍ غلبهم وقهرهم ودعاهم إلى الله ﷻ، فإن استجابوا له، أكرمهم، وإن رفضوا، أذلهم وأخذ أموالهم وأمتعتهم، واستخدم ما جمعه من كل أمة في تجهيز جيشه لملاقاة القوم الذين في طريقه.

ويقال إنه عاد بعد اثني عشرة سنة.

وفي المشرق، وجد ذو القرنين قومًا لا بيوت لهم يحتمون بها من شدة الشمس؛ كانوا قصارًا حمرًا، معيشهم الأساسي كان السمك.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا﴾ [الكهف:٩٠]

وقال العلماء: «لكنهم كانوا، إذا اشتد عليهم الحر، يختبئون في أسراب تشبه القبور في الأرض».

بعد أن دعاهم للإيمان، استمر ذو القرنين في سيره نحو المشرق، إلى أن وصل إلى قوم لا يفقهون قولا، وكانت لغتهم غريبة.

وهنا يطرح التساؤل: لو كانت لغتهم معروفة، ألن نكون قد عرفنا طريقهم؟ مثلما اكتشفنا جزر الخالدات وغيرها. لكن حكمة الله أرادت أن تظل هذه المعلومات مجهولة، وأن لا نتمكن من الوصول إلى السد.

وهذه حكمة الله في تثبيت قلوبنا على دينه، وتعزيز يقيننا بمعجزات حدثت دون أن نراها، من خلال ذكر الآيات وتفسيرها، على الرغم من أننا لا نستطيع الوصول إليها. بينما في العصر الحديث، أتاح العلم لنا الفرصة لرؤية ما شاء الله أن نراه، في حين أن الأمم السابقة التي وصلتها الآيات، استمرت في ضلالها وعنادها.

أما عن كيفية تعامل ذو القرنين مع هؤلاء القوم الذين لا يفقهون القول، فلم يذكر القرآن طريقة تفهمه لهم، لكن الله قد منح ذو القرنين كل الأسباب، فمن المحتمل أنه استخدم وسيلة ما، كترجمان، لفهمهم.

وقد أخبره القوم عن قبيلتين تخرجان من بين الجبال، وكان هذا هو الممر الوحيد لهما، حيث قاموا بالتعدي على أرضهم وإفساد ممتلكاتهم. فطلبوا من ذي القرنين أن يقيم حاجزًا بينهم وبين هؤلاء القوم. رفض ذو القرنين أخذ الخراج منهم، لكنه طلب رجالا يساعدونه في بناء السد وأدوات لذلك.

فبنى السد باستخدام الحديد والنحاس المذاب، ويقال أنه استخدم الرصاص والنحاس، وهو أقرب للصواب. بدأ بملء الفجوات بين الجبلين بالحديد حتى غطت المنطقة، ثم صب النحاس المسال في الفراغات. بذلك جعل السد غير قابل للصعود عليه بواسطة السلالم أو المعاول، حيث لا يمكن لأحد أن يتجاوزه أو يستخدم أدواته في تدميره.

فجعل بدل اللبن حديد وبدل الطين نحاس لكي لا يستطيع أن يعلو عليه بسلالم ولا غيرها ولا يستطيع أن يستعملوا المعاول أو الفؤوس ولا غيرها،

وبني السد وحجزت قبيلتي يأجوج ومأجوج.

وخلدت سيرة ذي القرنين بالحكمة والعلم والإيمان والهمة والعزيمة.

وذكرت بعض كتب التفسير عن كعب الأحبار؛

أن ذي القرنين لما حضرته الوفاة أوصى أمه أنه إذا مات تصنع طعامًا وتجمع نساء أهل المدينة وتضعه بين أيديهم وتأذن لهم فيه إلا من كانت ثكلى فلا تأكل منه شيئًا ، فلما فعلت ذلك لم تضع واحدة منهن يدها فيه فقالت لهم سبحان الله كلنا ثكلى فقلنا أي والله ما منا إلا من اثكلت فكان ذلك تسلية لأمه.

والغريب من الإسرائيليات أنه يقال أنه مات وعمره ٣٠٠٠ سنة وآخرون قالوا أنه مات ٣٢ سنة.

والله أعلم .

ولكن هاتين القصتين تثبتان لك الفرق بين الملك ذو الهمة والعزيمة والملك الذي يتواكل على غيره .

هناك مثل دنماركي يقول: طير حر خير من ملك أسير

فيمكننا أن نطلق على ذو القرنين أنه كان كالطير الحر الذي لم تقيده المسؤوليات أو الاحتياجات أو الاطماع الشخصية للانطلاق بحصانه ليجول مشارق الأرض ومغاربها ليدعو الله لدين الإسلام .

٢٥

المباهلة

في السنة التاسعة من الهجرة، والتي سُمّيت في التاريخ بـ«عام الوفود»، أرسل رسول الله ﷺ رسالة إلى أسقف نجران قال فيها:

«من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران، إن أسلمتم فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ أما بعد

فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العِباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العِباد فإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم آذنتكم بحرب والسلام»[١]

وفي هذا العام أنزل الله تعالى سورة النصر:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾.

(١) وردت هذه الرسالة في كتاب السيرة النبوية لابن هشام وأيضا ذكرها الطبري في تفسيره لآية المباهلة يورة آل عمران آية ٦١

كانت الدعوة الإسلامية حينها بدأت تنتشر في مختلف أنحاء الجزيرة العربية، وقد أكرم الله رسوله ﷺ بنصر عظيم، حيث بدأت الوفود تأتي من كل مكان لتدخل في الإسلام. وكانت نجران، على الرغم من بقائها على المسيحية، من أكثر المناطق النصرانية اهتمامًا بجدال ودراسة المسيح وأمور الدين.

ففي البداية، أرسل رسول الله ﷺ رسالة يدعو فيها أهل نجران إلى الإسلام، عندما استلم أسقف نجران الرسالة، شعر بالاستياء، فاستدعى رجلاً من أهل نجران يُدعى شرحبيل بن وداعة، وكان من قبيلة همدان ومن كبار النصارى علمًا وحكمة.

أعطى الأسقف الرسالة لشرحبيل وسأله:

- «يا أبا مريم، ما رأيك؟»

قرأ شرحبيل الرسالة ثم صمت لبرهة، يفكر في مغزاها، وبعدها قال:

- «قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما الذي يمنع أن يكون هذا هو ذاك الرجل؟ ليس لي في النبوة رأي، ولو كان الأمر من أمور الدنيا لأشرت عليك برأي واجتهدت لك.»

بدأ الأسقف بعد ذلك في تجهيز وفد من كبار علماء نجران ليذهبوا إلى رسول الله ﷺ ليتحققوا من حقيقة هذا النبي ورسائله.

وانطلق الوفد حتى وصلوا إلى المدينة، فقيل إن الوفد يتكون من خمسة علماء، بينما قال بعض المفسرين إنهم كانوا حوالي ثمانين شخصًا.

عندما دخلوا على رسول الله ﷺ في مسجده، وكان يصلي صلاة العصر، وكانوا يرتدون ثياب الحِبَرات (وهي ثياب يمانية)، قال من رأهم من أصحاب رسول الله:

- ما رأينا وفدًا مثلهم.

وفي ذلك الوقت كان موعد صلاتهم، فقاموا وصلّوا في مسجد رسول الله. احتج الصحابة ولكن قال رسول الله ﷺ: دعوهم.

فصلّوا متجهين نحو الشرق.

هل تلاحظون؟ في مسجد رسول الله، وقد تركهم ليؤدوا شعائرهم. رسول الله كان مدركًا تمامًا أنهم ربما يحاولون استفزازه.

وبعد ذلك تحدث رسول الله إليهم وقال لهم: أسلِموا.

كان رسول الله خير الأنام، يفهم طريقتهم، فقد دخلوا وصلّوا في مسجده لإيصال رسالة أنهم متمسكون بدينهم.

لكن رسول الله كان يتمتع بالرحمة والحكمة التي تلين الحجر، فكلم السيد والعاقب رسول الله ﷺ فقال لهما بكل رحمة كلمة واحدة: أسلِما.

فقالا: قد أسلمنا قبلك (أي نحن أساسًا مسلمون).

فقال رسول الله: كذبتما، ما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدًا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما للخنزير. (هذه الأمور أخرجتكما للأسف من ملة الإسلام).

فقالا: إن لم يكن عيسى ولدًا لله، فمن أبوه؟

وخاصموه جميعا في عيسى وبدأ الجدال حول عيسى عليه السلام وادعائهم أنه ابن الله.

فقال لهما رسول الله: ألستم تعلمون أن الولد يجب أن يشبه أباه؟

فقالوا: بلى!

قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيّم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟

قالوا: بلى!

قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟

قالوا: لا.

قال: فإن ربنا صوَّر عيسى في الرحم كما شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يُحدِث.

قالوا: بلى!

قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غُذِّيَ كما يُغذَّى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويُحدِث؟

قالوا: بلى!

قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟

فسكتوا.

لكن الجدال استمر، فلم يكونوا على استعداد للتنازل بسهولة.

وفي تلك اللحظة نزلت الآية:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١]

لم يعد هناك مجال للجدال بعد البرهان الواضح، وفي الآية كان أمر الله واضحًا لرسول الله ﷺ:

يا محمد، إن جادلوك مرة أخرى ولم يقتنعوا بالحق، فباهِلهم.

ما هي المباهلة إذاً ؟

المباهلة في اللغة تعني التلاعُن، وهي الدعاء بإنزال اللعنة على الكاذب من بين الطرفين المتلاعنين، وتُشرَع لإحقاق الحق وإزهاق الباطل.

دعوني أُخبركم برد فعل الوفد حين سمعوا عن المباهلة وشعورهم بأنهم وُضعوا في موقف عظيم؛ فقد كانوا أمام مصير أمة بأكملها لو قرروا أن يباهِلوا رسول الله ﷺ.

كيف تتم المباهلة؟

يجتمع الطرفان المختلفان حول الحق، ويُحضر كل فريق أقرب الناس إليه من أهل بيته.

تخيل أن تحضر أقرب الأقربين إليك، نسائك وأطفالك، لتدعو عليهم باللعنة إن كنت على باطل! إنها لحظة تحتاج إلى شجاعة ويقين بأنك على حق.

وانتظر الجميع وقت المباهلة، وكان موعدها بعد الفجر في اليوم التالي.

تهيأت المدينة لحدث عظيم يحدث لأول مرة، لكن شَرَحبيل ومن معه شعروا بالقلق من هيبة رسول الله ونوره وحجته. فأرسلوا رسولًا ليعرف هل سيحضر رسول الله المباهلة فعلًا؟

فالواثق في نفسه لا يُحضِر أهله المقربين ليشهدوا عليه باللعنة، إن كان كاذبًا.

عاد رسول شَرَحبيل وعليه علامات الذهول، وأخبرهم بما رأى:

خرج رسول الله من بيته حاملًا بيده الحسن وفي الأخرى الحسين، ومن خلفه السيدة فاطمة، وبجانبها زوجها وابن عم رسول الله سيدنا علي بن أبي طالب، وجلسوا في المسجد ينتظرون وفد أهل نجران.

فسأل الوفد شَرَحبيل:

مـا رأيـك؟ قلـتَ إنـك سـتعرف إن كان ملـكًا أو نبيًـا إذا رأيتـه.

فقال لهم:

«قـد علمتـما أن الـوادي إذا اجتمـع أعـلاه وأسـفله لم يـردوا ولم يصـدروا إلا عـن رأي، وإني والله أرى أمـرًا ثقيـلًا. والله لئـن كان هـذا الرجـل ملـكًا، لكنـا أكثـر العـرب طعنًـا في عينـه وردًا لأمـره، فـلا يغيـب عـن صـدره ولا عـن صـدور أصحابـه حتـى يُصيبونـا بجائحـة، وأنـا أدنـى العـرب منهـم جـوارًا (كان يسـكن في همـدان). ولئـن كان هـذا الرجـل نبيًّـا مرسـلًا ثـم لاعنّـاه، فـلا يبقـى عـلى وجـه الأرض منـا شـعر ولا ظفـر إلا هلـك».

بمعنـى آخـر، إن كان هـذا الرجـل ملـكًا فهـو وأصحابـه ليسـوا بالقليلـين، وإن هجمـوا علينـا فسـنتعرض لخسـائر فادحة، وإن كان نبيًـا وذهبنـا لملاعنتـه، سـنهلك نحـن وأمتنـا.

فقالوا لشَرَحبيل: وماذا ستفعل إذًا؟

قـال: « لـن نفعـل شـيئًا ، بـل سـنرفض المباهلـة ونوافـق عـلى شروطـه».

وبالفعـل، طلبـوا مـن رسـول الله أن يرسـل معهـم أمينًـا ليأخذ الجزيـة، فأرسـل إليهـم أمـين الأمـة، أبـو عبيـدة بـن الجراح.

وبعـد ذلـك أرسـل رسـول الله وفـدًا يدعـو أهـل نجـران إلى الإسـلام، فأسـلم كثـير منهـم، ومنهـم بعـض مـن كانـوا في الوفـد.

لكن الشاهد من هذه القصة هو رحمة رسول الله ﷺ وحكمته في التعامل مع أهل الكتاب، وكيف جادلهم دون أن يسلبهم حقهم في الدفاع عن عقيدتهم، لم يلجأ إلى القوة أو العنف لنصرة الإسلام.

لكن القصة لم تمر هكذا دون أن يستغلها بعض مدعي الإسلام.

فقد استغل الشيعة أي رواية تتضمن السيدة فاطمة وعليًا ﭫ لتأكيد معتقداتهم، بأن رسول الله كان في هذا الموقف يرسل رسالة واضحة أن عليًا هو الأحق بالخلافة، وأن السيدة فاطمة هي الأقرب إليه والأحب إلى قلبه، وقد كان كذلك حقًا؛ فهي الأقرب إلى قلبه، وهم أهل بيته.

عليه أفضل الصلاة والسلام، معلم العالمين وسيدهم ونبيهم وشفيعهم.

٢٦

الإسراء والمعراج

هل عُرج برسول الله ﷺ بروحه أم بجسده؟ وهل حدث العروج فعلاً؟ ومن قال إن رحلة الإسراء والمعراج كانت في ليلة السابع والعشرين من رجب؟ وهل يستطيع جسد سيدنا محمد البشري تحمل الاختلاف الكبير بين طبيعة الأرض والسماء، واختراق الغلاف الجوي، والتفاوت في الضغط، بالإضافة إلى الوصول إلى أعلى نقطة في الكون، وهي سدرة المنتهى وعرش الرحمن؟

سنتناول في هذا النص أعظم رحلة في تاريخ البشرية، ولكن من منظورين مختلفين:

الأول: النظرية السببية

قال العلماء إن أي موجود في الكون لابد أن يكون له موجد، وأي حدث في الكون لابد أن يكون له سبب.

الحدث = سبب + مسبب

لذلك، تقاس قوة كل حدث حسب قوة السبب والمسبب. ومن حكمة الله في الكون هو تلازم الأسباب مع النتائج، وهذا ما يمنح الكون صفة الثبات.

لتوضيح ذلك:

تخيل أنك استيقظت في يوم ما ووجدت أن المعادلات قد تغيرت، فانتشرت الفوضى والعبث في النتائج. اليوم الجاذبية موجودة، وغدًا لا توجد جاذبية. اليوم السماء منطبقة على الأرض، وغدًا في حالتها الطبيعية.

يطرح هنا السؤال: من هو المحافظ على هذا الثبات؟

بالتأكيد نقول «الله ﷻ».

هل الله ﷻ غير قادر على تغيير القوانين ليلة واحدة من الزمن؟ هل لا يستطيع أن يخرق نظام السببية ليثبت لنا قدرته وعزته وجبروته؟

الثاني: من وجهة نظر النحويين

نقول إن كل جملة فعلية تنشأ من فعل + فاعل + مفعول به، ويتحدد قوة الفعل بناءً على قوة الفاعل وليس قوة المفعول به.

وعندما يقول الله تعالى في كتابه:

﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]

إذن، الله ألغى قوانين البشر، ووجه انتباهنا إلى أن ما سيحدث مع عبده الآن هو من قوانين الله الخاصة التي لا يستطيع العقل البشري أن يستوعبها.

عندما يكون الفاعل هو الله مع عبده وحبيبه محمد ﷺ، فإن الفعل الذي يحدث لا يخضع لقوانين الأرض ولا لقوانين الزمان والمكان.

ما عليك إلا أن تسلم وتصدق وتستمتع بقدرة الله وجبروته لحبيبه المصطفى.

ونتمنى أن يستريح العقل من التفكير، ويترك المجال للقلب للاستمتاع بأعظم رحلة في تاريخ الكون.

أغلقوا أنوار عقولكم، ووجهوا آذان قلوبكم، وانطلقوا بمشاعركم لتحلقوا معنا في سماء مكة قبل الحدث بأربع سنوات، خاصة في شعب أبي طالب.

أترون هذا الجمع المنهار في شعب أبي طالب المنعزل؟

أتسمعون صراخهم، وأصوات بطونهم الجائعة، واصطكاك عظامهم البالية؟

إنهم مسلموا مكة الذين لم يخذلوا رسولهم في نصرة دينه، فحوربوا وأوذوا، وتمسكوا بدينهم ثلاث سنوات من العذاب والحصار، وكان رسول الله ﷺ بينهم حزينًا، ليس أمامه سوى أن يثبتهم ويدعو الله لرفع الغمة.

وعندما أُزيلت الغمة عن المسلمين، لحقته سحابة حزن أخرى، فمات عمه أبو طالب الذي طالما ناصره ودعمه رغم عدم إسلامه، إلا أنه كان سنده في مواجهة جاهلية الكفار. وبعده بشهور، فُجع حبيبك في قرة قلبه السيدة

خديجة، حبيبته وصديقته وداعمة له وملجأه.

تخيل ماذا حل بنفس حبيبك بعد هذه المصائب، أي قلب يتحمل الفراق، والتعذيب، والأذى، والسخرية، ويظل صامدًا ثابتًا؟

وعندما جاءه الأمر بالخروج للدعوة، انطلق إلى الطائف، وهناك نعلم جيدًا ماذا حدث له، وكيف أُهين وطُرد، وأدميت قدميه الشريفتين.

ليس هناك نفس بشرية تتحمل كل هذا الابتلاء، لكن حبيبك ما عليه إلا الصبر. ومع ذلك، نظر إلى السماء واشتكى لربه، ليس شكوى ضيق أو استسلام، بل شكوى انكسار:

«اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله».[1]

(١) ورد الحديث في صحيح الترمذي في كتاب الدعوات (حديث رقم ٣٥٥٧) وهو من الأحاديث الصحيحة

في يوم من الأيام، كان رسول الله ﷺ نائمًا في بيته. لم يُحدَّد وقت هذا اليوم في السيرة إلا أنه كان قبل الهجرة بسنة أو سنة ونصف. وفجأة، فُتِح سقف الغرفة، ونزل منها جبريل عليه السلام، ولم يكن وحده، بل كان معه ملكان. فشقَّا صدر رسول الله وأخرجا قلبه، وغسلاه بماء زمزم، ثم أفرغا في صدره طستًا من ذهب يحتوي على حكمة وإيمان.(١)

حكمة وإيمان؟ هل كان رسول الله ﷺ يفتقر إلى الحكمة والإيمان الكافي؟ بالطبع لا، لكن ما كان مقدمًا عليه يتطلب المزيد من القوة والثبات.

ثم خرج رسول الله مع جبريل ليجدا في الخارج دابة عجيبة بيضاء اللون، بين البغل والحمار، تضع حافرها في منتهى طرفه. إنها البراق، دابة الأنبياء.

نقف لحظة لنتأمل في اللفظ: «يضع حافره في منتهى طرفه». أليست هذه سرعة الضوء التي تم إثباتها مؤخرًا؟ وإذا كان الإنسان العادي يرى حتى ٢٥ أو ٣٠ مترًا، فما هو منتهى بصر البراق ليصل برسول الله إلى المسجد الأقصى في غضون ثوانٍ؟

نعود إلى المشهد: تقدم رسول الله ليركب البراق، ولكن

(١) الحديث ورد في صحيح مسلم (حديث رقم ١٦٢)، عن أنس بن مالك، وهو من الأحاديث الصحيحة
ورد أيضًا في صحيح البخاري (حديث رقم ٣٢٣١)، عن أنس بن مالك، مع تفاصيل إضافية حول الحادثة.

البراق زاغ قليلًا. لم يكن يرفض ركوب سيد البشر، بل كان مضطربًا من عظم الموقف ومكانة الشخص. فقال له جبريل: «ألا تستحي يا براق؟ والله ما ركبك عبد لله قبل محمد، ولا أكرم عليه منك». فركب رسول الله، وانطلق البراق مع جبريل حتى وصلا إلى بيت المقدس.

في تلك الفترة، كان بيت المقدس في أيدي الرومان، وكان المسجد الأقصى مهجورًا في جنح الليل. نزل رسول الله عن البراق، وبدون تفكير، ربطه في حلقة كانت موجودة في حائط البراق، التي كان الأنبياء يربطون البراق فيها قبله. ثم دخل ليصلي ركعتين في المسجد.

ولكن، داخل المسجد، بدأت مراسم التشريف والتكليف. دخل رسول الله فوجده ممتلئًا عن آخره، ولم يكن هناك مكان لقدم. وجوه الأنبياء مضيئة، وعليهم هيبة ووقار.

كان هناك أنبياء من بداية سيدنا آدم عليه السلام وحتى عيسى عليه السلام. وكان عدد الأنبياء ٢٤ ألفًا، والرسل ٣٠٠.

إنه أعظم اجتماع في تاريخ البشرية.

وقف رسول الله ﷺ منتظرًا الصلاة، يتساءل من سيؤم هذا الجمع الشريف. هناك حديث يقول: «لا يؤم الرجل في بيته». وكان من المفترض أن يتقدم أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم أو أبو البشر سيدنا أدم ، أو سيدنا داوود أو سيدنا سليمان اللذين وضعا حجر أساس المسجد الأقصى.

لكن صفوف الأنبياء اصطفّت وانتظر الجميع الإمام، وإذ بجبرائيل يشير إلى رسول الله ﷺ قائلاً: «تقدم يا محمد، أنت من ستصلي بأنبياء ورُسُل الأرض». تخيل كيف أن الله جبر رسول الله، وجعل منه سيد الخلق وإمام الأنبياء، صاحب البيت وأحق من فيه به.

أما بالنسبة للسؤال المنتشر: هل كانت الصلاة مفروضة؟ نعم، كانت مفروضة، فقد صلى رسول الله ركعتين في الصباح وركعتين في الليل.

ولو انتهى هذا الأمر برسول الله وعاد إلى بيته، لكان هذا الجبر من الله كافيًا. لكن خرج رسول الله ليجد جبريل قد قدم له إناءين: أحدهما يحتوي على الخمر والآخر على اللبن. حينها لم يكن قد حُرم الخمر بعد. فاختار رسول الله اللبن، فقال جبريل: «هديت إلى الفطرة، وهديت أمتك إلى الفطرة».

ثم نصب المعراج فوق صخرة المعراج، وهي الصخرة التي بُنيت عليها الآن قبة الصخرة. والمعراج في اللغة يعني المصعد أو السلم. .

ودعونا نستدعي العقل مرة أخرى ونقف عند نظرية المعراج، ونتساءل: لماذا استخدم الله المعراج بدلًا من لفظ «المصعد»؟

أظهرت الدراسات أن الصعود بطريقة مباشرة إلى السماء يؤدي إلى تقلص الحويصلات الهوائية في الرئة نتيجة لتناقص الأوكسجين، مما يؤدي إلى الاختناق. لذلك، لا يتم اختراق

السماء أبدًا بشكل عمودي مباشر كالمصعد، كما ورد في الآية الكريمة التي يصف الله فيها أصحاب الضلال:

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

وبالتالي، كان المعراج هو الأنسب لاختراق السماء بشكل مُنحنٍ أو مائل.

وبالعودة إلى رحلة المعراج التي أصبحت بقدرة الله، نستمع إلى كلام رسول الله ﷺ عن المعراج. قال عليه الصلاة والسلام:

«لما فُرِغَ مما كان في بيت المقدس، أُتيت بالمعراج، فلم أرَ قط شيئًا كان أحسن منه، وهو الذي يمد إليه الميت عينيه إذا حُضر، فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء».[1]

وهنا، تخلَّت عن رسول الله طبيعته البشرية، ولم تتخطَّ الحدود المسموح لها، بل استقرت على الأرض، بينما سُمِّيَ بروحه وجسده لاختراق مجال السموات والوصول إلى سدرة المنتهى.

---

(١) هذا الحديث ورد في صحيح مسلم (حديث رقم ١٦٢)، عن أنس بن مالك ﷺ، في حديث طويل عن الإسراء والمعراج.
ورد أيضًا في صحيح البخاري (حديث رقم ٣٢٠٧)، في باب الإسراء والمعراج، في حديث طويل يروي تفاصيل رحلة الإسراء والمعراج.

وصل رسول الله إلى السماء الأولى برفقة جبريل، وكان عليه الاستئذان. فاستأذن جبريل، فقال أمين السماء: «من؟»

قال جبريل: «محمد بن عبدالله».

فقال: «أرسل إليه؟»

قال جبريل: «نعم».

فُتِحَت السماء الدنيا، ودخل رسول الله إليها، فوجد رجلًا، فبمجرد أن نظر إلى يمينه، وجد بشرًا كثيرًا يضحك، ثم نظر إلى شماله فوجد بشرًا كثيرًا يبكي.

ولكنه انتبه لوجود رسول الله فقال:

«مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح».

فسأل رسول الله جبريل: «من هذا؟»

قال جبريل: «هذا آدم عليه السلام، والذين عن يمينه هم ذريته من أهل الجنة، ومن عن شماله ذريته من أهل النار».

تركه رسول الله وصعد إلى السماء التي تليها.

تخيل أن تكون في قصر مهيبٍ فيه حدائق وبساتين، ماذا سيكون حالك؟ ستظل عيناك زائغة تستمتع بكل مشهد تراه. لكن الله قال عن حبيبه:

«ما زاغ البصر وما طغى»،

فلم يكن ينظر إلا إلى ما وجهه إليه جبريل فقط.

ثم عرج النبي إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل كما في المرة الأولى، فإذا بأولاد الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام،

فسلموا عليه قائلين:

«مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح».

ثم عرج الرسول إلى السماء الثالثة، فوجد يوسف عليه السلام وقد أوتي شطر الحسن، فسلم عليه ودعا له بالخير.

وفي السماء الرابعة، وجد سيدنا إدريس عليه السلام، وفي الخامسة سيدنا هارون عليه السلام، وفي السادسة موسى عليه السلام، وكلهم قالوا:

«مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح».

فلما جاوز النبي بكى موسى. فقال له رسول الله: «ما يبكيك؟»

فقال موسى: «أبكي لأن غلامًا يأتي بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي».

وهذا لم يكن تقليلًا من شأن رسول الله، بل لأن سيدنا محمد كان يظهر صغيرًا، لم يشب شعره إلا بضع شعيرات بسيطة.

ثم صعد رسول الله إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل:

«من هذا؟»

قال جبريل: «محمد».

قيل: « أو قد بعث إليه؟»

قال: «نعم».

قيل: «مرحبًا به، فنعم المجيء جاء».

فلما أخلص إليه، إذا بسيدنا إبراهيم عليه السلام، مسندًا ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه.

البيت المعمور هو كعبة السماء، وفوق الكعبة مباشرة.

إذًا، رسول الله الآن فوق الكعبة مباشرة. فَعُرج به إلى المعراج ليصعد من المسجد الأقصى إلى البيت المعمور بشكل مائل. وهنا يجب على العلماء أن يتوقفوا ويتأملوا الحكمة من مسار هذه الرحلة بهذا الشكل.

ثم قال جبريل:

«هذا أبوك إبراهيم، سلم عليه».

فرد عليه رسول الله السلام، فقال له سيدنا إبراهيم:

«مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح».

وقد وصف رسول الله نفسه قائلًا: «أنا أشبه ولده به».

ثم قال سيدنا إبراهيم:

«يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وغراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

ثم تقدم رسول الله، ووقف عند سدرة المنتهى.

مَكانٌ لم يتخيله بشر، شجرة عظيمة أوراقها كآذان الفيلة، وثمارها النبق كقلال الهجر. يغشاها خلق من خلق الله، ملائكة الله وجنوده، وكأنهم الطير أو الفراش في صفاء

الذهب ولمعانه. وعندما تغشاها نورٌ من أمر الله، تصبح شعلة من نور ترد البصر، فلا يستطيع مخلوق أن يصفها لحسنها وجمالها.

وتخرج من أصلها أربعة أنهار: نهران ظاهران هما النيل والفرات، ونهران باطنان في الجنة.

ثم توقف جبريل وأمر رسول الله بالتقدم، فتعجب رسول الله، فأشار له جبريل :

إذا تقدمتَ اخترقت، وأنا إذا تقدمتُ احترقت.

هنا رأى رسول الله جبريل على حقيقته الملائكية، وهو ذا ستمائة جناح.

ثم رفع حبيبك إلى مكان سمع فيه صرير أقلام القدر.

يا الله، ما هذه المكانة التي بلغها محمد عند حبيبه!

ومن ثم حدث ما لم يتوقعه سيدنا محمد أبدًا، حدث ما لم يحدث لأحد غيره، تجلى الله لحبيبه ورآه رأي العين. وعندما سُئل رسول الله ﷺ: «هل رأيت ربك؟»

قال: «نورٌ، إني أراه».

وحينها فُرضت عليه الصلاة، وكانت خمسين صلاة في اليوم والليلة.

كلف النبي بها، وحملها دون تفكير أو اعتراض، بمنتهى التسليم والاستسلام، وهبط ليبلغها لأمته. وعندما قابل النبي موسى عليه السلام، سأله: بماذا أُمرت؟

فقال: «أمرت بخمسين صلاة كل يوم».

قال موسى: «إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإنني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف».

فرجع رسول الله إلى ربه فخفف عنها عشرة، فظل يهبط إلى موسى ثم يعود إلى ربه حتى انتهت بخمس صلوات بثواب خمسين صلاة. عاد رسول الله وقد رأى من آيات ربه الكبرى.

عاد رسول الله إلى المسجد الأقصى ليجد البراق بانتظاره ليعيده إلى بيته، وما زال فراشه دافئًا، وقلبه دافئًا، وخاطره مجبرًا، وحزنه منسيًا، وهمته قائمة تريد أن تعدو لتخبر الجميع بما نال من شرف ومكانة.

وعندما استيقظ من نومه، كان كل تفكيره في كيفية إخبار قومه. هل سيصدقونه أم يكذبونه؟ مرَّ أبو جهل عليه، وشعر أن رسول الله به شيء، فقال له:

هل حدث شيء الليلة؟

قال رسول الله:

نعم، أُسري بي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

استهزأ أبو جهل به وقال:

أُسري بك! وتقول هذا لقومك؟

هنا سعد رسول الله وتحفز قائلاً:

نعم، أقول لقومي.

جمعهم أبو جهل، وبدأ رسول الله بسرد قصة الإسراء لهم، فما وجد منهم إلا أن قالوا:

نحن نقطع أكباد الإبل من هنا إلى هناك في شهر كامل، وتعود في شهر، وأنت تذهب وتعود في جزء من الليل!

قال رسول الله: أجل.

طلبت قريش منه وصف المسجد الأقصى، فبدأ بوصف جزء منه، لكنه نسى الباقي، فرفع الله له المسجد الأقصى أمام عينيه، فوصفه لهم.

تعجبوا وقالوا: أما الوصف فصحيح، ولكنهم رفضوا أن يصدقوا رسول الله.

ذهبوا إلى أبي بكر وقالوا: إن صديقك يقول كذا وكذا.

فقال أبو بكر مستسلما: «إن كان قال فقد صدق، أصدقه في أمر السماء، أفلا أصدقه في أمر الأرض؟»[1]

ومنذ ذلك الحين، سُمِّيَ الصديق. صدقه الصديق، والمسلمون من بعده.

---

(١) هذا الحديث مذكور في صحيح البخاري (حديث رقم ٣٤٩١) في باب إيمان أبي بكر الصديق وتوثيقه للخبر الذي جاء من النبي ﷺ عن الإسراء والمعراج. كما ورد الحديث أيضًا في صحيح مسلم (حديث رقم ١٦٢) ضمن سياق حديث الإسراء والمعراج، حيث كان أبو بكر الصديق هو الذي صدق النبي ﷺ في الأمر، وهو ما أصبح يعرف بعد ذلك بلقب أبو بكر الصديق.

وإنا والله لقد صدقناك من قبل أن تراك أعيننا، ولكن قلوبنا تراك نورًا ينير ظلامها.

انتهت الرحلة، ولكن لم ينتهِ أثرها، وستظل تظهر جليةً لكل من ينتظر فرج ربه وجبره. فإن ما عند الله باقٍ، والآخرة خيرٌ وأبقى.

المراجع

١. الإسرائيليات في التفسير والحديث (د. محمد حسين الذهبي)
٢. الإسرائيليات في التفسير الطبري دراسة في اللغة والمصادر العبرية
٣. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (د.محمدبن محمد أبو شبهة)
٤. مهذب تحذير الخواص من أكاذيب القُصاص (للإمام جلال الدين السيوطي)
٥. البداية والنهاية (ابن كثير)
٦. عرائس المجالس (الثعلبي)
٧. أخبار الأمم (المسعودي)
٨. الحيوان (الجاحظ)
٩. الإسراء والمعراج (محمد متولي الشعراوي)
١٠. الإسراء والمعراج (محمد راتب النابلسي)
١١. تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري
١٢. قصص الأنبياء للحافظ بن كثير

١٣. دلائل النبوة لأبو زرعة
١٤. مسالك الممالك الحافظ بن عبد الله الذهبي
١٥. سيرة بن هشام
١٦. تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي
١٧. المناقب
١٨. صحيح مسلم
١٩. صحيح البخاري
٢٠. تفسير الطبري
٢١. تفسير بن كثير
٢٢. البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله.
٢٣. البدء والتاريخ للمقدسي
٢٤. سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي

الفهرس

مقدمة الكتاب..... **٥**
١: الحكاية من البداية ٧
٢: القصاصين ١٧
٣: بدء الخلق ٢١
٤: عرش الرحمن وكرسيه ٢٩
٥: الجِن والبِن والجن ٣٥
٦:النمرود..... ٤٣
٧: هاروت وماروت..... ٤٩
٨: قوم لوط ٥٥
٩: بقرة بني اسرائيل ٦٥
١٠: أصحاب الرس..... ٦٩
١١:أصحاب السبت ٧٥
١٢:قوم سبأ..... ٧٩
١٣:تابوت السكينة..... ٨٧

١٤: قارون ٩٣
١٥:عوج بن عناق والجبارين ١٠٥
١٦: طالوت وجالوت ١١٣
١٧: أصحاب الجنة ١٢٣
١٨: أصحاب الأخدود ١٢٧
١٩ : مائدة من السماء ١٣٩
٢٠: الخضر ١٤٧
٢١:أصحاب الكهف ١٥٧
٢٢: المسيح الدجال ١٦٥
٢٣: يأجوج ومأجوج ١٧٧
٢٤: ذو القرنين ١٨٧
٢٥: المباهلة ١٩٥
٢٦: الإسراء والمعراج ٢٠٣
المراجع **٢١٩**